

تمهيد:

شهد المغرب الإسلامي عبر الزمن عديد من الحروب والهجرات التي غيرت سبيل الإنسان وأثرت على العمران البشري والتي تراجعت العديد من المدن فالمدن هي أهم استقرار الشعوب و استيطانها .

والتي تزامنت هذه الحروب والهجرات وانتشرت في المغرب الأوسط بشكل كبير خلال القرن الثالث هجري التاسع ميلادي حيث أثرت على عمران البشري بالمغرب الأوسط ،وعليه من الضروري عن الباحث أن يتعرف عن أصل المصطلحات التالية :

أولاً: تعريف المفاهيم التالية :

1/تعريف الحرب :

أصل كلمة الحروب :

لغة :

الحَرْبُ : نقيض السلم ، حُرُوب. ويقال: وقعت بينهم حرب .الأزهري : أُنْتُو الحَرْبُ لأنهم ذهبوا بها إلى المحاربة ، وكذلك السلم ويذهب بها إلى المسالمة .

والحَرْبُ بالتحريك : نهب المال الإنسان وتركه لاشيء له .¹

والرجلُ محرب : شجاعٌ ، وفلانٌ حربٌ فلانٌ أي يحاربه ، ودار الحربُ: بلاد المشركين الذين لا صلح بينهم.²

ويقول : حربهُ ، يحربه حرباً، مثل :طلبة يطلبه ،طلبا ، إذ أخذ ماله وتركه بلا شيء وقد حرب ماله ، أي سلبه فهو محروب والحريب ، و أحرته أي دلتته على ما يغنمه من عدو

3 .

¹ - ابن المنظور أبو الفضل محمد بن علي جمال الدين الأنصاري (ت711هـ) ، لسان العرب ، ط 3 ، مج 2 ، دار المعارف ، القاهرة ، 1119م ، ج 9 ، ص815-816 .

² - أبو عبد الرحمان الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهدي البصري (ت170هـ) ، كتاب العين ، التحقيق : مهدي المخزومي وإبراهيم السمرائي ، دار ومكتبة الهلال ، د-م ، دت ، ج 3 ، ص213 .

³ - أبو النصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفاربي (ت393هـ) ، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية ، التحقيق : أحمد عبد الغفور عطار ، ط4 ، دار الملايين ، بيروت ، 1987م ، ج 1 ، ص 108 .

والحربة الآلة وجمع حراب ، قال ابن الأعرابي : ولا تعد الحربة في الرماح ¹ .
وقوله تعالى : " إنما جزاءُ الذين يُحاربون الله ورسوله ويسعون في الأرض فسادًا " ² .

اصطلاحا :

أ/عند الفقهاء :

الحرب : القتال بين فئتين ، وهي مؤنثة ، وقد تذكر على معنى القتال وهي الحروب
ويقال هو حرب لي ، وَعَلَى عَدُوٍّ ³ .

دار الحرب عند الشافعية : بلاد الكفار الذين لا صلح بينهم مع المسلمين .

عند الظاهرية: هو المكابر ، المخيف لأهل الطريق ، المفسد في الأرض ، سواء بسلاح
أو بلا سلاح .

عند الجعفرية : هو كل مجرد سلاحا في بز ، أو بحر ليلا أو نهارا .

عند الإباضية : من أخاف السبيل ، وأعلن الفساد في الأرض ⁴ .

ب/عند أهل الشريعة الإسلامية والقانون الدولي العام :

الحرب : هي الوسيلة الأخيرة من وسائل الإكراه التي تلجأ إليها الدول لحل فيما بينها من
منازعات ، أو هي نضال بين قوتين مسلحتين لدولتين متنازعين .

واصطلح فقهاء القانون الدولي أخيرا على أن الحرب المشروعة تكون في إحدى حالتين :

أولا : أن تكون دافعا لاعتداء واقع بالفعل وهذا هو دفاع عن النفس .

ثانيا : أن تكون الحرب لحماية حق الثابت للدولة انتهكته دولة أخرى ⁵ .

¹ - أ بو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي (ت458هـ) ، المحكم والمحيط الأعظم ، التحقيق : عبد الحميد هنداوي ، ط 1 ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 2000م ، ج 3 ، ص 312 .

² - القرآن الكريم ، سورة المائدة ، الآية 35 ، برواية ورش عن نافع ، ص 112 .

³ - سعدي أبو جيب ، القاموس الفقهي لغة واصطلاحا ، ط 2 ، دار الفكر ، دمشق - سوريا ، 1988 م ، ص 84 .

⁴ - المصدر نفسه ، ص 84 .

⁵ - علي منصور ، الشريعة الإسلامية والقانون الدولي العام ، يشرف عن إصدارها : محمد توفيق عويضة ، د - ن ، القاهرة ، 1971م ، ص 233 .

تعريف الهجرات :

لغة :

أصل الكلمة : هَجَرَ الهاءُ.والجيمُ والراءُ .أصلان يدلُّ أحدهما على قطيعة .وقطع والآخر على شد شيء وربطه ، فالأول :الهَجْرُ: ضد الوصل ،وكذلك الهَجْرَانُ. وهَاَجَرَ القَوْمُ من دار إلى دار: أي تركوا الأولى لثانية ، كما فعلو المهاجرين حين هاجرو من مكة إلى المدينة .¹

والهَجْرَةَ و الهُجْرَةَ : الخروج من الأرض إلى الأرض ،والهَجْرَةَ في الأصل الاسم من الهَجْر ضد الوصل .²

هَجْرَةَ يَهْجُرُ هَجْرًا: صرمه، وهما يتَهَجْرَان ويتهاجرون ،والا سم الهجرة والهاجر أرضه وقومه : باعدهم ،
وهَجَرَ الشيء وأهجره :تركه .³

اصطلاحا :

هَجَرَ: هجر فلان هَجْرًا، وهَجْرَانًا :صرمه ، وقطعه.

هَاجَرَ:من بلدة مُهاجرة : خرج منه إلى بلد آخر .

هجرة : الخروج من أرض إلى أخرى .⁴

*في الشرع : ترك ما نهى الله عنه .

*عند الحنفية والحنابلة: ترك الوطن الذي بين الكفار ، والانتقال إلى بلاد الإسلام .

¹ - أبو الحسن أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي (ت395هـ) ، معجم المقياس اللغة ، التحقيق : عبد السلام محمد هارون ، دار الفكر ، د-م، 1979م، ج3، ص35.

² -ابن المنظور ، المصدر السابق ، مج6، ج51، ص4617.

³ ابن المنظور ، المصدر السابق ، ط3 ، دار الصادر ، بيروت ، 1414هـ ، ج5، ص250.

⁴ - سعيدي أبو جيب ، المرجع السابق ، ص364.

تعريف العمران البشري :

لغة :

لعمارة : ما يعمر به المكان ، والعمارة : أصغر من القبيلة وقيل : هو الحي العظيم الذي يقوم بنفسه سمي الحي العظيم عمارة بعمارة الصدر¹.

وعمرت الخراب أعمره عمارة فهو : عامر : أي معمور : مثل الماء دافق أي مدفوق .
والعمارة أيضا : القبيلة والعشيرة ، قال التغلبي : لكل أناس من معد عمارة وعمارة خفض على أنه بدل من أناس ومكان عمير : أي عامر وثوب عمير ، صفيق ويقال تركت القوم في عؤمرة ، أي في الصباح وجلبة . وأعمرته دار أو أرضا أو إبلا ، إذ أعطيته إياها وقلت : هي لك عمري أي عمرك ، الاسم العمري . وأعمرتُ وجدتها عامرة²

اصطلاحا:

حيث يقول ابن خلدون : "الإنسان مدني بطبعه ، أي لابد من الاجتماع الذي هو المدينة في إصلاحهم و هو معنى العمران³ .

¹ - ابن المنظور ، لسان العرب ، دار المعارف ، القاهرة ، 1119م ، ج 36 ، ص 3103.

² - أبو النصر إسماعيل الفاربي ، المصدر السابق ، ج 2 ، ص 757.

³ - ابن خلدون عبد الرحمان (ت 808هـ) ، العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر ، ط 1 ، دار ابن الجوزي ، القاهرة ، ج 1 ، ص 35 .

ثانيا : الحواضر الفاعلة أثناء التخريب المدن بين الحروب والهجرات بالمغرب الأوسط(3هـ-5هـ)/(9م-11م).

1/حاضرة تيهرت :

من أهم المدن المغرب الأوسط مدينة تيهرت وهي مدينة مشهورة قديمة كبيرة ، عليها سور من صخر ولها قصبة منيعة على سوقها وتسمى المعصومة ومدينة تاهرت في سفح الجبل يسمى قرقل وهي على نهر كبير يأتيها من ناحية المغرب وفيها بساتين كثيرة ، شديدة البرد يقول فيها : أبو بكر ابن حماد :

ما أصعب البرد وريعته *** وأظرف الشمس بتاهرت ¹.**

تأسست تاهرت سنة 144هـ/762م من طرف عبد الرحمن بن رستم² اتخذ الحكم الإمام 160هـ/778 م ، ولابد من الإشارة إلى لفظة تيهرت أضبط من تاهرت هما مدينتان قديمة وحديثة وتقع العاصمة الرستمية على بعد 9 كيلو مترات ، وتبعد على الجزائر بحوالي 430كلم³ .

والتي سقطت على يد الشيعة الفاطميين 297هـ/907م وهذا ما سنذكره لاحقا .

¹ - مؤلف مجهول ، الاستبصار في عجائب الأمطار ، نشر وتعليق : عبد الحميد سعد زغلول ، ط 2 ، دار النشر المغربية ، الرباط ، 1986م ، ج 9 ، ص178.

² - عبد الرحمان ابن رستم (ت160هـ-171هـ) مؤسس الدولة الرستمية وكان أصله فارسي : ينظر: ابن الصغير المالكي ، الأخبار الأئمة الرستمين ، ص26.

³ - ابن الصغير المالكي ، الخبار الأئمة الرستمين ، تحقيق وتعليق : محمد الناصر وإبراهيم بحاز ، د- ن ، الجزائر ، 1985م ، ص19-24.

2/حاضرة آشير :

بكسر الثانية ، وياء الساكنة وراء ، مدينة في الجبال البربر بالمغرب في طرف إفريقية الغربي مقابل بجاية في البر ، كان سيدها الزيري بن مناد الصنهاجي ، جد المعز بن باديس¹ .

وهو موضع خاليا وليس به أحدا مع كثرة عيونه وسعة فضائه وحسن منظره فجاء البنائين من المدن التي حولها وهي مدينة المسيلة و طنبنة وكان تاريخ إنشاء المدينة آشير سنة 324هـ/935 م وعمل على جبل حصنا مانعا ، وحمى الزيري أهل تلك الناحية وزرع الناس فيها² .

حيث يقول عنها صاحب مؤلف مجهول "الإستبصار" كانت مدينة آشير هي مدينة قديمة فيها آثار عجيبة ، بناها زيري بن مناد حصنها وعمرها وهي في جبال الشامخة³ .
تأسست المدينة في ظل الكيان السياسي الشيعي بالمغرب الأوسط أيام كانت القبيلة الصنهاجية على وفاق تام مع الدولة الفاطمية وتؤدي إلى دور كبيرا في خدمتهم من هزات كادت تعصف بوجودهم بارض المغرب⁴ .

3/حاضرة قلعة بني حماد :

قال عنها البكري : هي قلعة كبيرة ذات منعة وحصانة تمصرت عند الخراب القيروان ، وانتقل إليها أكثر أهل إفريقية قال : وهي مقصد التجار وبها تحل الرحال من الحجاز والعراق ومصر والشام وهي مستقرة بمملكة صنهاجية ، وهي قاعدة الملك بني حماد بن يوسف الملقب بلكين بن زيري .

¹ - شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت الحموي الرومي البغدادي ، معجم البلدان ، مج 1 ، دار الصادر ، بيروت ، 1911 م ، ص 202 ، 203 .

² مؤلف مجهول ، المصدر السابق ، ج 8 ، ص 170 .

³ مؤلف مجهول ، المصدر نفسه ، ج 8 ، ص 171 .

⁴ -البشير بوقاعدة ، الصراع العسكري وخراب المدن بالمغرب الأوسط و الأدنى ، دار ميم للنشر ، الجزائر ، 2015 م ، ص 248 .

حيث ساهم في بنائها وأحدث في حدودها سنة 370هـ / 979م ، وهي مدينة قريبة من حاضرة آشير وكان الهدف من اختطها حماد لتحصين و الامتاع ¹ .

ويقول عنها الجغرافي الإدريسي مدينة القلعة من أكبر البلاد قطرا وأكثرها خلقا وأغزرها خيرا وأوسعها أموالا وأحسنها قصورا ومساكن وأعمها فواكه وخصبا وحنطتها رخيصة لحومها طيبة وهي في سند الجبل سامي العلو الصعب الارتقاء ² .

بني حماد بن بلكين القلعة سنة 398هـ / 1007م وأتم تحصينها في عامين ومكث فيها ³ . حيث يقول عنها ابن خلدون "اختط مدينة القلعة بجبل كتامة سنة ثمان وتسعين وثلاثمائة ، وهو جبل عجيسة وبه لهذا العهد قبائل عياض من العرب الهلال ، ونقل إليها أهل المسيلة و أهل حمزة وخربها ونقل جراوة من المغرب وأنزلهم بتا ، ثم بنائها وتمصيرها على رأس المائة الرابعة ، وشيد من بنيانها وأسوارها واستكثر فيها من المساجد والفنادق فاستبحرت في العمارة و اتسعت في المدن " ⁴ .

4/ حاضرة بجاية :

بالكسر وتخفيف الجيم ، وألف ، وباء وهاء مدينة على الساحل البحريين إفريقية والمغرب كان أول من إختطها الناصر بن علناس بن حماد بن زيري بن مناد بن بلكين ⁵ في حدود 457 هـ / 1065 م ⁶ .

بينها بين الجزيرة بني مزغناي أيام كانت قديما ميناء فقط ثم بنيت مدينة على جبل شاهق وفي قبلتها جبال كانت قاعدة الملك بني حماد تسمى الناصرية ⁷ .

¹ - ياقوت الحموي ، المصدر السابق ، مج 4 ، ص 396 ، 390 .

² - الإدريسي أبي عبد الله بن إدريس الحموي (ت560هـ) ، نزهة المشتاق في إختراق الأفاق ، مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة ، م ج 1 ، 2002 ، ص 255 .

³ - عبد العزيز شهبي ، تاريخ المغرب الإسلامي ، مؤسسة الكنوز الحكمة ، الجزائر ، 2013 م ، ص 60 .

⁴ - ابن خلدون ، المصدر السابق ، ج 6 ، ص 228 .

⁵ - الناصر ابن عليناس بن حماد قد إرتقى إلى العرش سنة 454 هـ / 1062 م ، وهو الذي إختط مدينة بجاية سنة 457 م ينظر : - الهادي روجي إدريس ، الدولة الصنهاجية تاريخ افرقية في عهد بني زيري ، ج 1 ، ص 303 .

⁶ - ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، مج 1 ، ص 339 .

⁷ - الحميري محمد بن عبد المنعم ، روض المعطار في خبر الأقطار ، التحقيق : إحسان عباس ، ط 2 ، مكتبة لبنان ساحة رياض الصلح ، بيروت - لبنان ، 1984 م ، ص 81 .

تسمى دار المملكة تركب منها السفن وتساfer إلى جميع الجهات ، بينها وبين ميعة ثلاث أيام¹.

وانتقل ملكها من القلعة إلى بجاية واتخذها دار ملكهم ، وبجاية كثيرة الفواكه والخيرات وهي مشرفة مطلة على البحر وعلى فحص قد أحاطت بها الجبال².

¹ - ياقوت الحموي ، المصدر السابق ، مج 1 ، ص 339 .

² - الحميري ، المصدر السابق ، ص 82 .

المبحث الأول : الصدمات العسكرية في ظل الدولة الرستمية

المطلب الأول : علاقة الدولة الرستمية بالأغالبة :

تعود فترة تملك المشرقي في بلاد المغرب الإسلامي منذ أواخر القرن الثاني هجري الثامن ميلادي بظهور العديد من الدول المستقلة في بلاد المغرب الإسلامي بعد عصر الفتوحات الإسلامية ، فظهرت بني مدرار في سجلماسة في المغرب الأقصى سنة 140هـ/757م . فظهرت الدولة الرستمية عاصمتها تيهرت بالمغرب الأوسط خلال الفترة 161هـ/779م ، وظهرت الدولة الإدريسية عاصمتها مدينة ويلي بفاس 172هـ/788م وكذلك الدولة الأغالبة عاصمتها المغرب الأدنى (القيروان) 184هـ/800م ، وكانت هاته الدول المستقلة بين مد وجزر والامتداد والتقلص لهذا نشير أن جغرافية المغرب الإسلامي ليست ثابتة في العصر الوسيط .

تتسبب الدولة الأغلبية إلى مؤسسها الاغلب بن سالم بن عفال بن خفاجة التميمي الذين أستقروا أيام ابنه إبراهيم بن الأغلب ، لمساهمة نشر الدولة العباسية ثم ولاء بن الأشعث على طبنة و الزاب ¹.

ولقد اهتم إبراهيم بن الأغلب بالعمران اهتماما خاصا فشرع في بناء العاصمة سنة 185هـ/801م سماها العباسية حيث قام بتهديمها الإمام أفلح بن عبد الرحمان بن رستم ².

حيث تذكره المصادر الإباضية بأنه الرجل ³ الظالم والجائر وقال " وكان إبراهيم بن أحمد من بني الأغلب والي بني العباس على إفريقية ظلما وجائرا " ⁴.

¹ - ابن عذارى المراكشي ، بيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب ، التحقيق : جيمس كولان وليفي بروفنسال ، ط 3 ، دار الثقافة ، بيروت - لبنان ، 1973 م ، ج 1 ، ص 74 .

² - عصام الدين الرؤوف الفقي ، تاريخ المغرب والأندلس ، مكتبة النهضة الشرق ، القاهرة ، د-ت ، ص 124 .

³ - نقصد إبراهيم ابن الأغلب

⁴ - الباروني عبد الله النافوسي ، الأزهار الرياضية في الأئمة وملوك الإباضية ، د-ن ، د-م ، د-ت ، ج 2 ، ص 281.

حيث تعدد وُلّاتها عبر وجودها في بلاد المغرب الإسلامي ، وزادت أطماعهم من القيروان إلى تهرت ، ناهيك عن السيطرة على جبل نفوسة والتي توسعت إليه وسيطرت عليه الدولة الرستمية وهذا ما زاد من حدة الصراع والحروب بين هاته الأخيرة والدولة الأغلبية . ولما قامت دولة بني الأغلب بدأ أمرائها يتنازعون مع بني رستم في أملاكهم بنفوسة فلما استعانت قبيلة هواره بالإمام عيد الوهاب بن عبد الرحمان بن رستم¹ سنة 197هـ/815م ضد أبي عباس عبد الله بن إبراهيم بن الأغلب² زحف عبدالوهاب بجيوشه هائلة من البربر نفوسة وضرب الحصار على طرابلس ، فاضطرب ابن الأغلب إلى مهادنته على أن يحتفظ الأغالبة بمدينة طرابلس³ .

وضلت العلاقة متوترة بين الرستمين والأغالبة ، فإن تطور الدولة الرستمية في العديد من الجوانب الحضارية والعلمية وحتى التجارية كل هذا زاد من حدة الصراع بين الدولتين ، حيث قام أبو العباس محمد بن الأغلب بمحاربة الرستمين وبناء مدينة تجاور تهرت أطلق عليها اسم العباسية ، وتم تأسيسها سنة 228هـ/843م ونظمت أسواقها ورتبت جيوشها بعد كل هذا تم حرقها من طرف عبد الوهاب بن رستم⁴ ولقد صورت لنا المصادر الإباضية عدم تقبل الدولة الرستمية بالدولة الأغلبية .

ولعلى وجود ولاية الأغالبة أرادو الملك حيث أنقذ إلى المغرب جيشا وقدم إبراهيم بن الأغلب وصل طرابلس اجتمعت نفوسة على منعه من الجوار خوفا قاصدا تيهرت ، ولما شاورهم بالجوار منعه ، وحيث تقول الرواية الإباضية أنه إبراهيم بن إبراهيم بن الأغلب

¹ - عبد الوهاب ابن الأغلب : هو الذي استقل بولاية إفريقية (تونس حاليا) عن الخلافة العباسية سنة 184هـ وأقره الخليفة هارون الرشيد على ذلك ينظر : ابن الصغير ، أخبار الأئمة الرستمين ، ص71.

² إبراهيم ابن الأغلب : هو الذي استقل بولاية إفريقية (تونس حاليا) عن الخلافة العباسية سنة 184هـ وأقره الخليفة هارون الرشيد على ذلك ينظر : ابن الصغير ، الأخبار الأئمة الرستمين ، ص71.

³ - عبد العزيز سالم ، تاريخ المغرب في العصر الإسلامي ، ط2 ، مؤسسة الشباب الجامعي ، الإسكندرية ، 1999م ، ص281.

⁴ عبد العزيز سالم ، المرجع سابق ، ص282.

طلب أن يتركوا له مقدار عمامة على الساحل البحر ، وهذه الرواية عند دراستها مشكوك في صحتها فيها نوعا ما من التساؤل ما مدى صحة هذه الرواية ؟
وقد نشبت بينهم حروب وصراعات التي كانت تشمل موقعة مانو¹ و اقتتلوا قتالا شديدا وانهزمت فيها رجال الأغالبة و أرقيت دماؤهم في البحر حتى بلغت غلبت حمرة الدم على الماء وهذه الواقعة أضعفت كلا الدولتين أدت إلى سقوط لكل من دولتي الأغالبة و الرستميين على أيادي الشيعة العبيدين وهذا ما سنذكره لاحقا² .

المطلب الثاني :علاقة الدولة الرستمية مع دولة الأدارسة

شهد المغرب الإسلامي ظهور عديد من الدول المستقلة في بعض الأجزاء من المغرب ، فكانت الدولة الإدريسية التي حازت الموقع الجغرافي في المغرب الأقصى والأوسط وهذا ما يجعلنا إلى طرح التساؤلات التالية ، لمن تنسب الدولة الإدريسية ؟وماهي علاقتها الجوارية بينها وبين الدولة الرستمية ؟

تنسب الدولة الإدريسية إلى مؤسسها إدريس بن عبد الله³ وهو من الشيعة الزيدية⁴ الذي اتهموا بني عباس بالاغتصاب للخلافة منهم ويرون أنهم أحق بالملك ، وبعد الحروب والصراع بين الخلافة العباسية والإمام محمد في موقعة فخ⁵ .

¹ - موقعة ما نو : قصر قديم بين قابس وطرابلس كانت سنة 283هـ / م والتي كانت نتيجة الحروب بين الدولة الرستمية والدولة الأغالبة .. ينظر : الباروني ، أزهار رياضية ، ص481 ، إبراهيم بحاز ، الدولة الرستمية ، ص129.

² - إبراهيم بحاز ، الدولة الرستمية (دراسة في الأوضاع الاقتصادية والحياة الفكرية) ، ط2، جمعية التراث القراءة ، الجزائر ، 1999م ، ص129.

³ - هو إدريس بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه .ينظر : ابن أبي الزرع الفاسي ، الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس ، ص5 ، ابن عذارى المراكشي ، المصدر السابق ، ج1، ص90.

⁴ - نسبة إلى زيد بن علي وهم قائلون بإمامة بني فاطمة .ينظر : محمد بن عميرة ، دور زناتة في الحركة المذهبية ، ص138.

⁵ - موقعة فخ : وهي يوم التروية الثامن من شهر ذي الحجة سنة تسع وستين ومائة وانهزم فيها الإمام محمد بن الحسن .ينظر : ابن أبي الزرع الفاسي ، المصدر السابق ، ص5.

على ستة أميال من مكة فكان القتال شديدا وحروب عظيمة قتل فيها الإمام محمد بن عبد الله وهزم جيشه فكانت في سنة 169هـ/786م¹ .

أما عن إدريس لما قتل أخوه فر بنفسه مسددا تورا في بلد المغرب فسار من مكة إلى مصر ومعه مولاة اسمه راشد² ثم عزموا على خروج إلى بلاد المغرب حتى وصلوا إلى مدينة برقة³ بفضل مساعدة الرجل⁴ ثم يجيدان السير حتى وصلا إلى القيروان مكث فيها مدة ثم خرجا إلى المغرب الأقصى⁵ .

فخرج به مولاة راشد إلى إدريس إلى مدينة تلمسان⁶ ومكث فيها ثم رجع إلى طنجة⁷ بقي باقي فيها وأختار مدينة وليلي⁸ فكانت سنة 172هـ/789م ، وبعد مبايعة إدريس ابن عبد عبد الله من طرف القبائل المغرب الأقصى وقويت شوكتة وبعد عمله ومجهوده لنشر الإسلام كرها وطوعا داخل المدن المغرب الأقصى⁹ . وعلى ما نذكره من دخول إدريس ابن عبد الله إلى مدينة تلمسان وفتحها ونشر الإسلام داخل أرجاءها .

ولما قتل إدريس بن عبد الله ودخوله إلى المغرب الأقصى سنة ثلاثة وسبعين ومائة وأقام بو ليلي ثم خرج إلى مدينة تلمسان ومن بها من قبائل بنو يفرن و مغراوة ونزل بها وخرج

¹ - ابن أبي الزرع الحسن علي بن عبد الله الفاسي ، الأنيس المطرب بروض القرطاس في الأخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس ، تحقيق وصححه : كارل يوحن توربنوغ ، دار الطباعة المدرسية ، مدينة أويشالة ، 1863م، ص501.

² - ابن راشد : يقال إنه مولى أخيه عيسى بن عبد الله . ينظر : بن عميرة ، المرجع السابق ، ص139.

³ - برقة : وهي مدينة كبيرة أزلية وهي في الصحراء الحمراء وهي كثيرة الخصب والمياه والفواكه . ينظر : مؤلف مجهول : الاستبصار ، ج7، ص143.

⁴ - لم يذكر اسم الرجل في المصادر .

⁵ - ابن أبي الزرع الفاسي ، المصدر السابق ، ص5.

⁶ - مدينة عظيمة قديمة فيها آثار وهي على سفح الجبل أكثر شجر الجوز وكانت مملكة زناتة . ينظر : مؤلف مجهول ، الاستبصار ، ج9 ، ص187.

⁷ - هي مدينة كبيرة أزلية فيها آثار وقصور وجبال وغيرها وكان فيها ماء مجلوب من القناة كبيرة . ينظر : مؤلف مجهول ، الاستبصار ج7، ص138.

⁸ - وليلي : مدينة متوسطة حصينة كثيرة المياه والغرس وكان لها سور عظيم واتخذها عاصمة بعد دخول إدريس عليها . ينظر : ابن أبي الزرع الفاسي ، المصدر السابق ، ص6.

⁹ - المصدر نفسه ، ص7.

صاحبها محمد بن خزر من ولد صولات المغراوي¹ ، مستأمناً ومبايعاً فأمنه إدريس ودخل مدينة تلمسان أمن أهلها وسائر زناتة وبنى بها مسجد وكتب عليه بسم الله الرحمن الرحيم وكان ذلك سنة 174هـ/790م².

وبعد قتل إدريس ابن عبد الله من طرف الخليفة العباسي هارون الرشيد ، وبعث إليه رجل اسمه سليمان ابن خزر الجزري واتيحت له الفرصة فناوله سما وهكذا قتل إدريس بو ليلي سنة 175هـ/791م³ . ثم أخذ البيعة عنه ابنه إدريس ابن إدريس بن عبد الله يوم الجمعة الجمعة 187هـ/803م وقد بدأ ينشط سياسياً سنة 192هـ/807م داخل مدينة فاس ثم دخل مدينة تلمسان التي أقام فيها ثلاث سنوات التي انضمت إليه كلمة البرابرة وزناتة ومحوت الدولة الخوارج ، ثم تفتت ملكهم وانقسم إلى أبناء الدولة الإدريسية⁴ .

ومن خلال هذا كلام نستنتج وجود حروب و صراعات داخل المغرب الأوسط بين الدولة الرستمية والدولة الإدريسية ونستمد هذه الحروب وصراعات ونستمد هذه الحروب وصراعات من بعض المراجع المستفيضة لدراسة العلاقات .

وما يؤكد طابع العداء بين الأدارسة و الرستمين هو وجود الاختلافات المذهبية بين العلويين الزيدية والخوارج الإباضية والتي عكست على طابع السياسي والاقتصادي وحتى الاجتماعي⁵ .

وحسب رأي وجود حروب وصراعات بعد دخول الأدارسة إلى مدينة تلمسان ، أكيد يكون هناك رد فعل من طرف الدولة الرستمية التي سيطرت على المغرب الأوسط إلى غاية القرن الثالث هجري التاسع ميلادي .

¹ - محمد بن الخزر وهو حفيد محمد بن خزر بن حفص فقد سلم تلمسان لإدريس الأول كما بايع إدريس الثاني سنة

197هـ/812م ينظر: محمد بن عميرة ، المرجع السابق ص140.

² - السلاوي أحمد بن خالد الناصري الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى ، د-ت ، د-م ، ج1 ، ص69.

³ - محمد بن عميرة ، المرجع السابق ، ص143.

⁴ - محمد بن عميرة ، المرجع السابق ، ص144.

⁵ - محمود إسماعيل ، دولة الأدارسة حقائق جديدة ، ط1 ، مكتبة مدبولي ، القاهرة ، 1991م ، ص141،142.

وهكذا اتسمت علاقات بني رستم السياسية مع الأدارسة بطابع العداء وأسفر الصراع بين الدولتين إلى تغلب الأدارسة واستكانة الرستميين .

المبحث الثاني: الصدمات العسكرية في ظل الدولة الفاطمية

المطلب الأول: علاقة الدولة الفاطمية مع الأغالبة

1/ بداية الدعوة الشيعية في بلاد المغرب :

مما لا شك فيه أن دخول أو بداية التشيع في بلد المغرب كان بفضل الداعيان الشيعيان الحلواني و السفيناني¹ حيث يذكر ابن خلدون كان شيعة هؤلاء العبيدين بالمشرق واليمن وبعدهما أنفذهما جعفر الصادق² وقال لهما بالمغرب أرضا بور فأذهبا وأحرثاها حتى يجيء صاحب البذر³ ونزلا بكتامة ففشت هذه الدعوة⁴.

حيث يذكر القاضي نعمان في إفتتاح الدعوة أن قدم لبلاد المغرب في سنة خمس وأربعين ومائة ، رجلا من المشرق وأن أبي جعفر بن محمد بعث بهما وأمرئهما أن يبسطا الأرض وأمرئهما أن يتجاوزا إفريقية إلى حدود البربر ثم يفترقا منهما ، فينزل كل واحد منهما ناحية⁵.

كما يصور لنا كذلك النويري في كتابه نهاية الأرب في فنون الأدب أن الذي كان له دور في إرسال الداعيان هو ابن حوشب⁶.

¹ - وهما أبو عبد الله الحسين بن أحمد وأخوه أبو العباس محمد بن أحمد بن محمد حيث نزلا في قبيلتين من البربر. ينظر: المقرئزي، إتحاف الحنفاء، ج1، ص26؛ النويري، نهاية الأرب في فنون الأدب، ج28، ص45.

² - جعفر الصادق : هو أبو الحسن موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن محمد لباقر علي زين العابدين إلى الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه . ينظر: النويري، المصدر السابق، ج1، ص43؛ البشير بوقاعدة، المرجع السابق، ص34.

³ - يقصد صاحب البذر .

⁴ - عبد الرحمان ابن خلدون (ت808هـ)، العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، مراجعة: سهيل زكار، دار الفكر، بيروت - لبنان، 2000، ج4، ص41، 42.

⁵ - القاضي أبو حنيفة نعمان بن محمد التميمي المغربي، إفتتاح الدعوة، مؤسسة الأعلى للمطبوعات، بيروت - لبنان، 2005، ص23.

⁶ - شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويري (ت733هـ)، نهاية الأرب في فنون الأدب، التحقيق: عبد المجيد ترخي ترخي، منشورات محمد علي بيضون دار كتب العلمية، بيروت - لبنان، د-ت، ج28، ص45.

حيث تعلم أبو عبد الله الشيعي¹ ودرس وتعلم عن أبو حوشب ثم خرج مع رحلة الحج إلى مكة فلتقى بالموسم الحج رجالا من كتامة و رؤسائهم فجلس معهم فأرو منه من العبادة والزهد ، ثم سألهم عن قومهم وعصابتهم وبلادهم وملك السلطان² .

ثم خرج معهم إلى بلاد المغرب و سلخوا الصحراء وعدلو عن القيروان وارتحل أصحابهم ابن حمدون بن سماك الأندلسي ودخلوا إلى بلاد كتامة في منتصف ربيع سنة ثمان ثمانين ومائتين 288هـ / 901م فنزل بلاد إيكجان³ في بلد بني سكتان من جبيلة ، وعين له مكان منزلة بفج الأخيار واجتمع إليه الكثير من أهل البيت ودعا إلى آل البيت واتبعه أكثر من كتامة وكان يسمونه أبي عبد الله الشيعي المشرقي⁴ . ويعود الفضل في تأسيس الدولة الفاطمية إلى قبيلة كتامة التي قامت على حساب الأنظمة السياسية والمذهبية في بلاد المغرب والأوسط وإفريقية بعد دخول أبو عبد الله الشيعي والذي كسب مودة وقلب السكان كتامة وأصبح يلتفون حوله ، فتسامعت القبائل وأتاه البربر من كل مكان فعظم أمره⁵ .

2/ علاقة الدولة الفاطمية مع الأغلبية :

بعد وصول أبو عبد الله الشيعي إلى إيكجان من أرض كتامة شرع في نشر مبادئ الشيعة في تلك المنطقة وبلغ خبره إلى أمير إفريقية إبراهيم بن أحمد بن أغلب فبعث إليه بتهديد و الوعيد ، فأساء الرد عليه وخاف رؤساء كتامة عداة ابن أغلب ، حيث اجتمع

¹ - أبو عبد الله الشيعي : هو الحسين بن أحمد بن محمد بن زكرياء من أهل كوفة وقيل من أهل صنعاء وأرسله ابن حوشب ينظر : النويري ، نهاية الأرب في فنون الأدب ، ج1، ص47.

² - ابن خلدون ، المصدر السابق ، التحقيق : سهيل زكار ، ج 4، ص42.

³ - هي أرض جبيلة منيعة على مقربة من مدينة قسنطينة كانت تسكنها من قبائل كتامة ينظر : ابن حماد الصنهاجي ، أخبار بني عبيد وسيرتهم ، ص38.

⁴ - ابن خلدون ، المصدر السابق ، ج4، ص43.

⁵ - سمية سعد الدين ، "إشكلات إنقسام البيت الصنهاجي الزيري وتداعياتها" ، مذكرة لنيل شهادة الماستر ، جامعة محمد محمد بوضياف بالمسيلة ، 2013-1014م ، ص26.

وتفاوض في شأن أبو عبد الله الشيعي موسى بن عياش صاحب المسيلة¹ وعلى بن حفص وعسلوجة صاحب سطيف² وصاحب بلزمة³ .

وحضروا عديد من الرؤساء القبائل وراسلو بني صفلان صاحب بني سكتان واجتمعوا حول وجود وترحيب أبو عبيد الله الشيعي عندهم بإيكجان في أن يسلمه إليهم أو يخرجهم من بلدة وحذروه⁴ ، وهنا نتساءل لماذا قصد أبو عبد الله الشيعي لتخريب المدن بالمغرب الأوسط ؟

والإجابة عن هذا التساؤل ننتبع في حملة أبو عبد الله الشيعي في اقتحام المدن المغرب الأوسط وتخريبها ، سنذكر بتفصيل عن سقوط المدن وكيف تم تخريبها واستمالاته في الفصل القادم .

أما عن بداية حملته في استمالاته للمدن المغرب الأوسط فانتقل الداعي إلى تازوروت⁵ ، وسع من دعوته بشكل كبير⁶ .

حيث تروي المصادر التاريخية بعد أن تولى منصب عظيم وشأن كبير لأبو عبد الله الشيعي ، حيث قام بعدد من الحروب وغنم الأموال ، وزحف إلى قبائل المغرب فاقتتلوا عدة مرات وهنا يجب التنبيه إلى الاختلاف الواقع بين المصادر والمراجع في تحديد

¹ - المسيلة : أقرب إلى قلعة بني حماد من بلاد الزاب مدينة المسيلة وهي في بسيط أحدثها أبو القاسم إسماعيل بن عبيد الله الشيعي منذ 313هـ وكان المتولي لبنائها علي بن حمدون بن سماك بابن الأندلسي. ينظر : مؤلف مجهول ، الإستبصار ، ج8، ص171 ؛ بفتح الميم ثم كسر ويقال المحمدية ؛ ابن حماد الصنهاجي ، أخبار بني عبيد وسيرتهم ، ص45.

² - سطيف : بفتح أوله ، وكسر ثانية ثم ياء مثناة من تحت وفاء : مدينة في الجبال كتامة بين تاهرت والقيروان من أرض البربر ببلاد المغرب وذات المزارع وعشب ومنها أخرج عبد الله الشيعي داعية المسمى المهدي ينظر : ياقوت الحموي ، معجم بلدان ، ج3 ، ص220.

³ - حصن هو على بساط من الأرض كثيرة المزارع والقرى وهي مدينة كثيرة الأنهار والثمار. ينظر : ابن حماد الصنهاجي ، المصدر السابق ، ص64.

⁴ - ابن خلدون ، المصدر السابق ، ج4 ص42.

⁵ - تازوروت : هو حصن دار هجرة الداوي الشيعي ويقع هذا الحصن قرب منطقة عين ملوك في ميلة وفي الجنوب الشرقي من جبل إكيجان وتعني الصخرة الأمازيغية. ينظر : البشير بوقاعدة ، المرجع السابق ، ص39 .

⁶ - ابن خلدون ، المصدر السابق ، ج4، ص43.

المصطلح حيث يوجد اختلاف من ناحية اقتحام أو إخضاع وأعمال التخريبية التي قام بها أبو عبد الله الشيعي .

- فهناك من يقول افتتاح وهناك من يقول دخول وهنا نرجح إلى الرأي آخر وهو إخضاع أو اقتحام المدن المغرب الأوسط ومن مظاهر ذلك الحروب التي كانت بينهما بين الأغالبة و الفاطميين وما قام به أبو عبيد الله الشيعي من سبي وقتل وأعمال وحشية في حق الإنسان والعمران البشري وهذا ما سنذكره .

تميزت العلاقة عموما بالعداء ويظهر ذلك جليا من خلال زحف أبو عبد الله الشيعي على مدن إفريقية ومغرب الأوسط ونذكر منها :

أ/ إخضاع مدينة ميلة :

-كانت مدينة ميلة أولى محطات التي استهل بها الداعي أبو عبد الله الشيعي أعماله التوسعية وذلك لقربها من مقر دعوته بتازورت واشتداد الحقد على أصحاب ميلة¹ .
-ويصور لنا المقريري في كتابه "إتعاض الحنفاء" وقد زحف إليه قبائل المغرب فاقتتلوا عدة مرات ،كان بيها الظفر أبو عبد الله الشيعي ، وصار إليه أموالهم فاستقام له أمر البربر وعامة كتامة وزحف مدينة ميلة² وقاتل أهلها قتالا شديدا ، وأخذ الأرياض ، ثم ملك البلد بأمان³ كما تذكر المصادر المشرقية كالنويري في كتابه "نهاية الأرب في فنون الأدب" فتقدم الشيعي إليها وقاتل بها وغلب على جميع أراضيها وفتحوا أبوابها ودخلها أصحاب الشيعي سنة تسع وثمانين ومائتين 289هـ/902م⁴ .

¹ - البشير بوقاعدة ، المرجع السابق ، ص39.

² - ميلة : مدينة أزلية فيها بعض الآثار تدل على أنها مدينة كبيرة وميلة كثيرة الأسواق والمتاجر عليها سور وصخر جليل ، وهي مدينة أزلية قديمة خربها أبي عبيد الله الشيعي . ينظر : مؤلف مجهول ، الإستبصار ، ج8 ، ص166.

³ - تقي الدين أحمد بن علي المقريري ، إتعاض الحنفاء بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء ، التحقيق : جمال الدين شيال ، ط2 ، الجمهورية المصرية ووزارة الأوقاف ولجنة إحياء التراث ، القاهرة ، 1996م ، ج1 ، ص58.

⁴ - النويري ، المصدر السابق ، ج24 ، ص56.

فبعث إليه إبراهيم ابن الأغلب ابنه الأحول في اثني عشر ألفا وأتبعه بمثلهم فالتقى أبي عبد الله فانهزم أبو عبد الله الشيعي وقتل الكثير من أصحابه وتبعه الأحول فحال بينهم الثلج ولحق أبو عبد الله الشيعي بجبل إيكجان وملك الأحول مدينة تاصروت¹ وأحرقها وأحرق مدينة ميله ، فبني أبو عبد الله دار الهجرة بإيكجان وقصده أصحابه ، وعاد الأحول إلى إفريقية².

وانتصر الجيش الأغلب في بداية الأمر بعد دخوله إلى تازورت وأحرقها ، كما هدم قصر أبو عبد الله الشيعي ، ولكنه انهزم في خروجه الثاني لقتال الشيعي حين اصطدم بجيشه في مدينة سطيف وتمكن وقتئذ أبو عبد الله الشيعي من دخول مدينة ميله وسيطر عليها.

ب/ إخضاع مدينة سطيف :

ما إن استقام الأمر لأبو عبد الله الشيعي بدخوله إلى ميله حتى زحف بجموعه وجيشه إلى مدينة سطيف ، حيث كان صاحبها علي ابن عسلوجة ونزل إليها بالعساكر يهدمها وما يؤكد هذا الطرح كتاب " إفتتاح الدعوة " للقاضي نعمان "فسارعوا إليه وقصدوا نحوه وصار إلى سطيف فلم يصل إليها حتى زاد في عسكره مثله وتلقاه بنو عسلوجة أصحاب سطيف"³ ، وعليه فقد لجأ الداعي الشيعي إلى أسلوب الهدم في دخوله هذه المدينة⁴.

ت/ إخضاع مدينة طبنة :

والواقع بعدما توالى الهزائم الدولة الأغلبية وانفصلت عنها مدينتي ميله وسطيف ، إلا أن بقي أبو عبد الله الشيعي في حركاته التوسعية وتخريب المدن المغرب الأوسط ، كان مقصده قاعدة الدولة الأغلبية طبنة⁵ تحت أسلوبه الحروب أو ما يسمى الصدام العسكري.

¹ - تاصروت : هناك إختلاف في المصطلح وهناك من يقول تازورت

² - تقي الدين أحمد بن علي المقرئ ، إتعاظ الحلفاء بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء ، ج1 ، ص58.

³ - القاضي نعمان ، المصدر السابق ، ص89.

⁴ - البشير بوقاعدة ، المرجع السابق ، ص40.

⁵ - طبنة : بضم أوله ثم السكون ونون مفتوحة وهي فيما أحسب عجمية ، وطبنة : صوت الطنبوع : بلدة في طرف إفريقية مما يلي المغرب على ضفة الزاب . ينظر : الياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج4 ، ص21.

ولا يفوتني هنا أن نوضح مدى اقتحام أبو عبد الله الشيعي لمدينة طبنة ودخوله في الصراعات وحروب مباشر مع الدولة الأغلبية من أجل سيطرة عليها لأنها تمثل قاعدة الزاب الكبير في بلاد المغرب الأوسط لهذا بدأ يستولي على مدنها واحدة تلو أخرى إلى أن سقطت عاصمة الدولة الأغلبية رقادة¹ بالمغرب الأدنى سنة 296هـ/909 م بعد فرار أميرها زيادة الله إلى مصر².

" زحف بجيشه إلى مدينة طبنة وأحاط بها عساكر من كل جهة ونظر من بها إلى أمر لا قوام لهم ولا طاقة للخروج إليه فاحتصروا وحاصروا المدينةوزحف إليها الأولياء من كل جانب وقدموا إليها دبابة فنقبوا برجا من أبرجة السور فسقط³.

ولم يغفل الداعي عن مكانة طبنة لأنها تمثل قاعدة الزاب الكبير وهي التي تحمي الدولة الأغلبية من الجهة الغربية ، ويبدو أن سكان طبنة لم يتساهل مع أبو عبد الله الشيعي إلا انه أمن أهلها بعدما دخلها " ⁴ .

ث/ إخضاع مدينة بلزمة :

ما إن إقتحم أبو عبد الله الشيعي مدينة سطيف وغيرها من المدن توجه بجيشه لحصار مدينة بلزمة حيث تروي لنا المصادر المشرقية مثل ابن الأثير في كتابه " الكامل في التاريخ " حيث يقول " وسار⁵ إلى مدينة بلزمة وكان قد حاصرها مرارا كثيرا فلم يظفر بها : فلما حاصرها الآن ضيق عليها ، وجد في القتال ، ونصب عليها دبابات ورماها بالنار

¹ - رقادة : بلدة كانت بإفريقية بينها وبين القيروان أربعة أيام ، وكان دورها أربعة وعشرين ألف ذراع ، وأكثرها بساتين ينظر : ياقوت الحموي ، المصدر السابق ، مج 3، ص55.

² - محمد بن عميرة ، المرجع السابق ، ص169.

³ - القاضي النعمان ، إفتتاح الدعوة ، ص170.

⁴ - المصدر نفسه ، ص171.

⁵ - وسار نقصد بها أبو عبد الله الشيعي .

فأحرقها وفتحها بالسيف ، وقتل الرجال وهدم الأسوار ، واتصلت الأخبار بزيادة الله ¹ .
فعظم عليه وأخذ في جمع والحشد فجمع عسكريا عدتهم اثنا عشرة ألف وأمر عليهم هارون
الطنبلي ² ، إذ تمكن من اقتحامها سنة 294هـ/907م إذ طال عمرانها هي الأخرى وساد
الهدم والتخريب والحرق ³ ومجمل القول أنه لم يتوقف أبو عبد الله الشيعي من اقتحام مدن
المغرب الأوسط ودخوله إلى مدينة دار الملول ⁴ وكان ذلك سنة 294هـ/907م.
وكذلك مدينة بعاية ⁵ ومدينة مجانة ⁶ وكذلك تبسة ⁷ ثم زحف بجيشه إلى قسنطينة ⁸
وحاصرهم واقتحمهم وغاب عنهم الأمان والتوضيح أكثر ينظر للملحق رقم 1.

¹ - زيادة الله : هو أبو مضر زيادة الله بن عبد الله بن إبراهيم بن أحمد بن أغلب آخر ملوك بني أغلب بإفريقية . ينظر :
إبن خليكان أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد (681هـ) ، وفيات الأعيان وأنباء الزمان ، التحقيق : إحسان عباس ،
دار الصادر ، بيروت ، 1970م ، ص193 .

² - إبن الأثير العز الدين أبي الحسن علي بن أبي الأكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري
(ت630) ، الكامل في التاريخ ، التحقيق : محمد يوسف الدقاق ، مج6 ، ط1 ، دار الكتب العلمية ، بيروت - لبنان ،
1887م ، ص450 .

³ - البشير بوقاعدة ، المرجع السابق ، ص41 .

⁴ - مدينة دار ملول : مدينة عامرة وأسواقها قائمة تقع على بعد مرحلة من طبنة وفيها مياه جارية وبين دار ملول تقاوس
ثلاث مراحل . ينظر : الإدريسي ، نزهة المشتاق لمعرفة الآفاق ، ص264 .

⁵ - باعاية ، مدينة كبيرة سكنها البرابرة قرب جبل الأوراس . ينظر : إبن حماد الصنهاجي ، أخبار بني عبيد وسيرتهم ،
ص64 .

⁶ - مجانة : مدينة قديمة صغيرة يحيط بها سور وهي غنية بالزرور والمياه و اشتهرت بالمعادن . ينظر : البشير
بوقاعدة ، المرجع السابق ، ص42 .

⁷ - تبسة : مدينة كبيرة مبنية بالحجارة على الطريق الرابط بين القيروان وقسنطينة . ينظر : لبشير بوقاعدة ، المرجع
السابق ، ص43 .

⁸ - قسنطينة : بضم أوله وفتح ثانيه ثم نون وكسر الطاء : وهي قلعة كبيرة جدا حصينة عالية لا يصلها الطير وهي على
على حدود إفريقية مما يلي المغرب وحولها مزارع كبيرة . ينظر : ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج4 ، ص349 .

المطلب الثاني : علاقة الدولة الفاطمية مع سجلماسة :

الجدير بالذكر أن بعد سقوط جزء من مدن المغرب الأوسط من كتيبة كتامة وسقوط الدولة الأغلبية 296هـ/909م توجه الداعي على سجلماسة¹ لإنقاذ مولاه أبو عبد الله المهدي² من سجنه ، وهذا ما سنذكره ، وهنا نطرح الأسئلة التالية : كيف كان وصول أبو عبد الله المهدي إلى سجلماسة وماهي الحملات العسكرية التي قام بها الداعي أبو عبد الله الشيعي لإنقاذ إمامه ؟

وللإجابة عن هذه الأسئلة نستند إلى قول المصادر التاريخية منها كتاب ابن خلدون تحت عنوان "العبر" ، حيث يقول "لما توفي محمد الحبيب بن جعفر بن محمد بن إسماعيل الإمام عهد إلى ابنه عبيد الله وقال له أنت المهدي وتهاجر بعدي هجرة بعيدة وتلقي محنة شديدة واتصل خبره سائر دعائه في إفريقية واليمن ، وبعث إليه أبو عبد الله رجلا من كتامة يخبرونه لما فتح الله عليهحيث فر من أرض الشام إلى العراق ، ثم لحق بمصر ومعه ابنه أبو القاسم³.....واغترم على اللحاق بأبي عبد الله الشيعي بالمغرب حيث خرج من الإسكندرية في زي تاجر ،...فسبق أمره عند زيادة الله حيث قبض على أبو العباس أخو الداعي وهو يسأل عن المهدي ثم ذهب إلى سجلماسة وبها

¹ - سجلماسة : مدينة على نهر وليس بها عين ، وأهل سجلماسة أخلاط وغالبون عليها البربر. ينظر : اليعقوبي أحمد بن أبي يعقوب إسحاق ، فتوح البلدان ، التحقيق : محمد أمين ضناوي ، ط1 ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 2002م ، ص73. ؛ مدينة في الجنوب المغرب في طرف السودان بينها وبين فاس عشرة أيام. ينظر : ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج3، ص192.

² - أبو عبيد الله المهدي : أول خلفاء الدولة الفاطمية ببلاد المغرب حيث عكف على تنظيم شؤون الدولة حكم سنة (297-322هـ/909-934م). ينظر : البشير بوقاعدة ، الصراع العسكري وخراب المدن بالمغرب الأوسط والأدنى ، ص45.

³ - أبو القاسم : هو أبو القاسم محمد وقيل عبد الرحمان ابن عبد الله المهدي ولد بسلمية سنة سبع وسبعين ومائتين وكانت وكانت فترة حكمه 324هـ. ينظر : المقرئ ، اتعاظ الخفاء بأخبار الأئمة الخلفاء ، ص74. ؛ أبو زكرياء يحيى ، سير الأئمة وأخبارهم ، ص174.

اليسع ابن مدرار¹ رحب به ثم أتاه كتاب المكتفي من زيادة الله بأنه المهدي فحبسه اليسع ابن مدرار² .

وكذلك يذكر المراكشي في كتابه "بيان المغرب" ونظرا أبو عبد الله في إقامه جيوشه واستعداد للغزو سجلماسة وكان بها عبيد الله المهدي وابنه أبو القاسم محبوسين....ثم خرج أبو عبد الله الشيعي من رقادة يوم الخميس لنصف من شهر رمضان...حتى حل مدينة تيهرت وقتل بها من الرستمية يقضان³ وجماعة من أهل بيته وبعث برؤسهم إلى أخيه أبي العباس وطوفت بالقيروان ونصبت على مدينة رقادة وانقضت تيهرت بعد مائة وثلاثون سنة⁴ .

ناهيك على وجود عديد من الحملات العسكرية التي قام بها أبو عبد الله الشيعي ، وقد قصد سجلماسة سنة 296هـ/909م لإنقاذ إمامه وكان يخبره بما حققه من الانتصارات وأنه في انتصاره فخرج من سلامية⁵ حيث انتهى المطاف به إلى سجلماسة . حيث ألقى القبض على أمير سجلماسة اليسع ابن مدرار وقد مر أبو عبد الله بطبنة وقضى على الدولة الرستمية باستلائه على تيهرت سنة 297هـ/910م⁶ . وعليه وتلبية لنداء الواجب ، حيث أخرج المهدي من السجن وقتل اليسع وبايعه المهدي قائلا للجميع (هذا مولاي ومولاكم وسلم أبو عبد الله الشيعي كل أموال للمهدي وكان ذلك سنة 297هـ/910م⁷ .

¹ - يسع ابن مدرار : هو اليسع ميمون غين مدرار بن اليسع بن سمعون ابن مدلان المكناسي . ينظر : محمد بن عميرة ، دور زناتة في الحركة المذهبية بالمغرب الإسلامي ، ص170 .

² - عبد الرحمان ابن خلدون ، المصدر السابق ، ج4 ، ص46 ؛ ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ج6 ، ص460 .

³ - هو آخر أئمة الرستميين حكم فترة 261هـ ودخل تيهرت سنة 268هـ قتل من طرف أبو عبيد الله الشيعي . ينظر : إبراهيم بحاز ، الدولة الرستمية ، ص127 .

⁴ - ابن عذارى المراكشي ، المصدر السابق ، ص152 .

⁵ - سلامية : بفتح أوله ، وهي قرية صغيرة كبيرة بنواحي الموصل على شرقي دجلتها ، بينما ثمانية فراسخ المنحدرة إلى بغداد مشرقة على الشاطئ دجلة وهي أكبر قرى مدينة في الموصل . ينظر : ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج3 ، ص234 .

⁶ - محمد بن عميرة ، المرجع السابق ، ص171 .

⁷ - عبد الرحمان ابن خلدون ، المصدر السابق ، ج4 ، ص47 .

المطلب الثالث :علاقة الدولة الفاطمية مع الدولة الرستمية :

وقبل دخول أبو عبد الله الشيعي إلى مدينة تيهرت يجب علينا الإشارة إلى الظروف التي كانت تحيط بالمدينة تيهرت ، شهدت الدولة الرستمية عدة فتن والانقسامات داخل البيت الرستمي خاصة بعد موقعة مانو سالفة الذكر مع الأغالبة سنة 283هـ/908 م في مواجهتها للحروب والصراعات وهذا كان في آخر عهودها ، صحيح لا ننسى التطور التي تميزت به من تقدم فكري وعمراني وحتى حضاري ولكنها واجهت عديد من الأسباب التي ساعدت على سقوطها .

وكذلك لا ننفي دور أبو عبد الله الشيعي في تخريب المدينة وقيامه لعدة من حروب وسفك لدماء ، ونستمد قولنا من المصادر الإباضية وهو ابن الصغير في كتابه "أخبار الأئمة الرستمين" والذي عاين الأحداث حيث "إن أسرة بني رستم أصبحت متعددة منقسمة على نفسها بسبب المحن والحروب وهو ما ساعد ولاشك على إضعاف الحكام الرستمين " ¹ .

تضاربت الروايات الإباضية عن سبب وجود أبو عبد الله الشيعي وتخريب مدينة تيهرت والحقد والاقترام عليها ، فتقول أن دوسر بنت يوسف طلبت من أبو عبد الله الشيعي الإقتحام المدينة ، أو أنه أراد تخريبها بنفسه ، وهذه الرواية تركتتنا في حيرة .

حيث يذكر أبي زكرياء في كتابه "سير الأئمة وأخبارهم" وحدث بعض أصحاب أن دوسر ²، لما قتل أبوها غدر بنو يقظان وخرجت متوجهة إلى الحجاني ³ مع أخ لها " ⁴ .

فلما وصلت إليه أخبرته بقصة أبيها ، ووعده بزواج ، سار الحجاني إلى طريقه إلى تيهرت حيث إلتقوا به أهلها من المخالفين وشكو إليه فأرسل الرسل إلى يقظان وأهانوه

¹ - ابن الصغير المالكي ، المصدر السابق ، ص22.

² - دوسر : بنت يوسف . ينظر : أبو زكرياء يحي ، سير الأئمة وأخبارهم ، ص170.

³ - الحجاني : يقصد به أبو عبد الله الشيعي .

⁴ - أبو زكرياء بن أبي بكر ، سير الأئمة وأخبارهم ، التحقيق : إسماعيل العربي ، ط2، دار الغرب الإسلامي ، بيروت - لبنان ، 1982م ، ص170.

سمعته سأل الحجاني يقظان اسمه : فقال له إسمي يقظان فقال له الحجاني : بل اسمك الحيوان " ¹ .

والحقيقة أنه ما عمله أبو عبد الله الشيعي من قيام بالحروب والانتهاك الحرمات والحرق والنهب ، وهذا ما يؤكد الباروني في كتابه "الأزهار الرياضية" بقوله "دخل الحجاني تيهرت ونهبها واستباحها وقصد المكتبة المعروفة المعصومة وأخذها فيها من الكتب والصنائع وغيرها من الفنون وأحرق الباقي " ² .

وهكذا سقطت الدولة الرستمية بكل سهولة في يد أبي عبد الله الشيعي بعد أن عاشت أكثر من مائة وثلاثين سنة بعدما ازدهرت بالحياة الفكرية والحضارية ³ .

المطلب الرابع : علاقة الدولة الفاطمية مع الأدارسة :

بعد سقوط مدينة تيهرت في يد الفاطميين سنة 296هـ/909م بدأ فصل جديد من تاريخ المدينة ، وهو الصراع الشيعي الزناتي من أجل التوسع وتخريب عمران المغرب الأوسط . حيث تعود جذور هذا الصراع والحروب إلى حادثة وقتل رسل أبي عبيد الله الشيعي الذين أرسلهم إلى عبيد الله المهدي بسجلماسة عندما كانوا راجعين من مهمتهم قتلوا من طرف جماعة تخضع لمحمد بن خزر الزناتي ، وزاد نشاط هذه الحركة العدائية منذ ولاية أبا حميد بن داوس بن صولات اللهيصي الكتامي ⁴ من تيهرت ، حيث أثاروا عليه الزناتين وعملوا على إخراجهم من تيهرت بقيادة محمد بن خزر المغراوي ، حيث وجد تويد من أهل تيهرت للقضاء على وجود الفاطمي ⁵ .

ولعل في سنة 298هـ/911م تجول أبو عبد الله الشيعي في بلاد البربر وحارب زناتة وقتل الرجال وأخذ الأموال وسبي الذرية وأحرق بعض المدن بالنار.

¹ -أبو زكرياء بن أبي بكر ، المصدر السابق ، ص171.

² - الباروني ، المصدر السابق ، ص293.

³ - إبراهيم بحاز ، المرجع السابق ، ص129.

⁴ - هو أبو حميد داوس بن صولات اللهيصي ، كان أبو عبد الله ولاء هو إبراهيم بن محمد المياني المعروف بالهوارى وكان يلقب بسيد الصغير ، على مدينة تيهرت بعد إستلاء عليها . ينظر : محمد بن عميرة ، المرجع السابق ، ص174.

⁵ - المرجع نفسه ، ص172-176.

وفي سنة 299هـ/912م أخرج عبيد الله إلى المغرب جماعة من قواد محاربة زناتة في عساكر عظيمة فكانت بينهم وبين زناتة وقعة عظيمة بموضع يعرف بفلك مديك قتل من زناتة عداد لا يحصى وفيها فتحت مدينة تيهرت وكان أهلها ثاروا على داوس عاملها وفر إلى تيهرت القديمة....، ثم أخرج عبد الله المهدي العساكر إلى تيهرت في أعداد عظيمة وخلق لا يحصى عشرة فنزل بها يوم الجمعة الانسلاخ المحرم وحُرب أهلها حيث دخلت العساكر "فقتلوا رجال ،وسبو النساء والذرية وانتهكوا الأموال وحرقوا المدينة بالنار وبلغ عدد القتلى بينها ثمانية لآلاف رجل"¹.

وما يؤكد عن وجود الحروب بين زناتة والدولة الفاطمية الشيعية ، بعد الاستلاء عن مدينة تيهرت.

وخرج أبو القاسم إلى المغرب في جيش عظيم تسع ليال مضين من صغر سنة 315هـ/ 927 م وقد كان محمد بن الخزر الزناتي من زعمائهم وكبرائهم وعظمائهم قبل ذلك أوقع بعسكر كتامة..... ولما وصل أبو القاسم المغرب وقضى المأرب وانصرف ومر بوادي سهر فاخنت مدينة مسيلة وسمها المحمدية ، وبعد توغل محمد ابن خزر في الصحاري² أخرج جملة مع إبنه أبو القاسم وكانت سنة 315هـ/927م³.

حيث تنطلق الحملة من المهديّة ثم سار إلى باغية وتقدم إلى جبل فيه بنو برزال وهم فرع من زناتة ،ثم تراجع حملته بسبب رداءة الجو فوصل إلى برجقنة ، حيث وصل بجملته إلى تيهرت ثم ضيق ودوخ آل إدريس ولم يحقق مراده والتحاق بمحمد بن خزر وفراره إلى الصحاري ثم انصرف إلى المهديّة دون أن يلقاه⁴.

ليشهد تاريخ المغرب الإسلامي كله حدث مهم وبارز وهو وقوف في وجه الدولة الفاطمية والذي يتمثل في حركة أبي يزيد النكاري الملقب بصاحب الحمار .

¹ - ابن عذارى المراكشي ، المصدر السابق ، ص166.

² - ابن حماد لأبي عبد الله محمد بن علي ، أخبار بني عبيد وسيرتهم ، التحقيق : التهامي نقرة وعبد الحليم عويس دار الصحوة ،القاهرة ، د-ت ، ص 45.

³ - محمد بن عميرة ، المرجع السابق ، ص182.

⁴ محمد بن عميرة ، المرجع السابق ، ص184.

شهد المغرب الإسلامي حدث تاريخي الذي قام به أبو يزيد ابن كيداد من بني يفرن الزناتي النكاري الذي دوخ الدولة الفاطمية بحركاته السياسية والعسكرية وانتصاراته ، ليشهد له التاريخ الإسلامي ، و من خلال أعماله ومواجهته ضد الدولة الفاطمية ، فمن يكون هذه الشخصية ؟وماهي النتائج الذي حققها في إضعافه الدولة العبيدية بالمغرب ؟

1/شخصية أبي يزيد الخارجي :

هو مخلد بن كيداد بن سعد الله بن مغيث بن كرمان بن مخلد بن عثمان ابن وريت بن نبقراسن بن سميدار بن يفرن ، ويفرن هو أبو الكاهنة وتنسب إلى جنا بن يحي الزناتة¹تعلم القرآن وخالط النكارية وأصبح يعرف النكاري² من أهل الإباضية فمال إلى مذهبهم ثم سافر إلى تيهرت وأصبح يعلم الصبيان ثم ذاع صيته³ .
ثم سار إلى جبل الأوراس⁴ ، وفيه قوم من هوارة يقال لهم بنو كملان⁵ صاحبه رجل أعمى رئيس الإباضية اسمه عمار أعمى وحاصر المهديّة⁶ وكان يسفك الدماء وكان أصحابه البربر⁷ .

وتميزت حركته بإباحة الغنائم والسبي وشق البطون على المهديّة سنة 331هـ/942م حيث مرت حركته بعدد من المراحل وهي :

أ/مرحلة التفوق وتحقيق الانتصارات :

-لقد صورت لنا المصادر التاريخية شخصية يزيد ابن كيداد بصورة التي تحمل ذات طابع عسكري قوي ، وشجاعة وحيلة ودهاء من خلال الانتصارات التي حققها .

¹ - ابن عذارى المراكشي ، المصدر السابق ، ص224.

² - مخالطت النكارية الذين أنكرو إمامة عبد الوهاب ابن عبد الرحمان الرستمي .

³ - عبد الرحمان ابن خلدون ، المصدر السابق ، ص52.

⁴ - جبل الأوراس : بأرض إفريقية فيه عدة بلاد وهذا الجبل يخترق الشرق الجزائري . ينظر : ابن حماد أخبار بني عبيد وسيرتهم ، ص55.

⁵ - بنو كملان : بطن من بطون هوارة على مذهب الإباضية ينحدرون بجبل الأوراس ناصرو مخلد بن كيداد في حربه مع إسماعيل المنصور الشيعي . ينظر : ابن حماد ، أخبار بني عبيد وسيرتهم ، ص55.

⁶ - مدينة عظيمة بنها عبيد الله الشيعي إذ قام عليه أبو عبد الله الداعي ، وبين المهديّة والقيروان 60 ميلا والبحر محيط بالمدينة من جميع الجهات . ينظر : مؤلف مجهول ، الإستبصار ، ج6، ص118.

⁷ - ابن حماد الصنهاجي ، المصدر السابق ، ص57.

وزادادت شوكته وكثرت أتباعه في أيام القائم وحاصر بغاية وهزم جيوش سنة ثلاث وثلاثين ، وفتح تبسة ومجانة وهدم سورها ودخل مدينة مر ماجنة ، فلقية رجل من أهلها أهدي له حمارا أستتهب في الصورة ركبه وصار يعرف براكب الحمار¹ .
وكانت أول المحطات التي استهل بها الثائر عهده مقتحما إيها ومخربا عمرانها ، ومستبيحا قصورها هي مدينة باغية 332هـ/944م.

وتختلف الروايات في دخول الثائر إلى مدينتي تبسة ومجانة بين دخولها صلحا أو دخولها عنفا ، فابن خلدون ساق حديثه على دخول الثائر صلحا حيث يقول "ثم فتح تبسة صلحا ومجانة كذلك"².

أما سياق الحديث عند ابن الأثير دخوله للمدن عنوة "وفي سنة ثلاث وثلاثمائة فتح تبسة ومجانة وهدم سورها وأمن أهلها"³ .

ب/مرحلة الانهزام و الاضمحلال :

بعد الانتصارات التي حققها أبو يزيد الزناتي إلا أنها انهزم في الأخير بعد تخلي عليه القبائل من هواره وأوراس وبنو كملان ، حيث تفتت أحواله وافترق أمره وتدهور جموعه وقد حاول أبو عمار الأعمى صاحب النكارية أن يعالج الأوضاع المتدهورة ولكن دون جدوى، راح المنصور⁴ بنفسه ليحقق أثار أبو يزيد ويطارده فقصده وحاصر باغية ثم بلغه الخبر أنه ينزل في بسكرة⁵ والتحق به المنصور بعد ما كانت تلحقه الطعام من سدراتة و بيطيوس وهي من بلاد بسكرة فكتب إسماعيل إلى زناتة بأمرهم بالإغارة على سدراتة و الإستئصال لهم ففعلوا ذلك وقتلوهم وسبوا حريمهم ونهبوا أموالهم⁶ .

¹ -المقريزي ، المصدر السابق ، ص 77.

² - ابن خلدون ، المصدر السابق ، ج 4 ، ص 52.

³ - ابن الأثير ، المصدر السابق ، مج 7 ، ص 189.

⁴ - كنية أبو الطاهر ، لقبه المنصور ولاء والده عهده بن أبي القاسم على المنابر إفريقية . ينظر : ابن عذارى المراكشي ، بيان المغرب ، ج 1، ص 218.

⁵ - بسكرة : بكسر الكاف وراء : بلدة بالمغرب من نواحي الزاب بينها وبين القلعة بني حماد مرحلتان وفيها نخل وشجر وبينها وبين طينة مرحلة . ينظر : ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ص 422.

⁶ - محمد بن عميرة ، المرجع السابق ، ص 206-207.

-ظهرت وقعة بفحص باتنة وباتنة اسمها القديم أذنة مدينة عظيمة خربت بينها وبين مسيلة اثنا عشر ميلا قتل فيها العديد من أصحاب أبي يزيد نحو عشرة آلاف بين راجل وراكب ، وتعرف بوقعة الرؤوس وانهزم فيها أبو يزيد ¹.

لحق أبو يزيد إلى جبل كيانة ² ورحل إسماعيل إلى مسيلة يوم جمعة 335هـ/947م ونزل بقلعة بني حماد ثم وقعة وقعة أخرى بين إسماعيل وأبو يزيد وقعة الحريق ³ وقام إسماعيل بأبشع الأمور أحرقهم لأصحاب يزيد ، وقتل منهم عدد كثير وسبي نساءهم وذراريهم .

ولقي آخر أيامه أبو يزيد في حصار القلعة بني حماد إلا أنه ألقى عنه القبض من طرف المنصور ، وهو متخن بالجراح خطيرة ، وفي آخر سنة 336هـ/947م أمر الخليفة الفاطمي بسلخ جثته وحشو جلده بالتبن ⁴ .

وخلاصة القول نستطيع أن نقول بأن حركة أبو يزيد النكاري امتاز شجاعة وحقت النجاح واستطاعت أن تقف أمام الدولة العبيدية التي يا طالما قامت بحروب عدة من أجل السيطرة ونشر المذهب الشيعي ، ومن المعروف التحالف المالكي والإباضيين من نشر المذهب الشيعي في بلاد المغرب الإسلامي وفعلا انتشر المذهب المالكي تقريبا في كل أرجاء المغرب الإسلامي .

¹ - المرجع نفسه ، ص207.

² - جبل كيانة بمقربه من المسيلة في بلاد الإفرقية وهي جبال شاهقة ضيقة المسالك حيث تحصن فيها أبو يزيد ابن مخلد عند ما تعرض إلى ملاحقة المنصور . ينظر : الحميري ، روض المعطار ، ص504.

³ - وقعة الحريق كانت سنة 335هـ أحرق فيها أصحاب أبو يزيد وسبي إسماعيل نساءهم وذراريهم . ينظر : ابن حماد ، أخبار بني عبيد وسيرتهم ، ص82.

⁴ - محمد بن عميرة ، المرجع السابق ، ص214.

المبحث الثالث : الحروب والصراعات في ظل الدولة الزييرية والحمادية

المطلب الأول : الصراع الزييري زناتي

1/الصراع الصنهاجي الزييري وحروبه مع زناتة قبل تولية الحكم :

كان آخر الخلفاء الدولة الفاطمية المعز لدين الله الفاطمي¹ خلال سنة 341هـ/953م بالمغرب الإسلامي ، جالت عساكر في جبل الأوراس وتوافد عليه ودخلوا في طاعته ، وكان من أهم وزرائه الحسن جوهر الصقلبي² فبعثه المعز لدين الله الفاطمي قائد جوهر الصقلبي بجيش عظيم إلى المغرب الأوسط فسار حتى وصل إلى سجلماسة وتيهرت³ -حيث أغزا المعز لدين الله الفاطمي كاتبه جوهر الصقلبي من القيروان إلى المغرب سنة 347هـ/958م⁴ ولمعرفة المزيد من الخلفاء الفاطميين يلاحظ الملحق رقم 2.

وهذا ما ترويه الروايات التاريخية في دخول القبائل المغرب الأوسط في طاعة المعز لدين الله الفاطمي "فلما كان في سنة إثنين وأربعين جالت عساكره في جبل الأوراس ، ويسكنه من كل بنو كملان ومليلة وبعض من هواره فأطاعوا المعز وفي سنة سبع وأربعين عظم أمر أبي الحسن الجوهري الصقلبي عند المعز ، فسار إلى تيهرت وحارب قومها ، ونهب وأحرق " ⁵ .

¹-المعز لدين الله : ولد بالمحمدية سنة 319هـ وهو أبو تميم معز بن المنصور بن القائم بن المهدي وهو الراجع من ملوك الدولة العبيدية وفاز الأمر إليه سنة 341هـ. ينظر : النويري ، المصدر السابق ، ج28، ص74؛ المقرئزي ، إتعاظ الحنفاء بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء،ص93.

*وختلفت الروايات في مكان ولادته حيث يقول ابن عذارى المراكشي أنه مولود في المهديّة

²- الحسن جوهر الصقلبي : والده إسماعيل كان عاملاً أصله رومي جلبه خادم اسمه صابر ثم أصبح قائد لدى المعز لدين الله الفاطمي . ينظر : ابن عذارى المراكشي ، بيان المغرب ، ج1، ص221.

³- المقرئزي ، المصدر السابق ، ص58.

⁴- محمد بن عميرة ، المرجع السابق ، ص229-230.

⁵- المقرئزي ، المصدر السابق ، ص93-94.

وهكذا تستمر الصراعات والحروب ضد زناتة حيث قام المعز لدين الله الفاطمي في محاربة أبي الخزر الزناتي، ثم كلف بلكين بن زيري¹ بمواصلة المهمة سنة 359هـ/970م والقضاء على مهمة أبي خزر الزناتي².

2/ علاقة دولة الزييرية مع صنهاجة :

بعد القضاء المعز على ثورة أبي خزر التف إلى أتباع الأميين خاصة منها محمد بن الخير المغراوي حيث قام بزحف على زناتة 360هـ/971م في ضواحي تلمسان وقد دارت بينهم معارك وكانت نتيجتها انتصار لصالح الصنهاجي بعدما أسرو عددا كبيرا من خصومهم ، وقد ترك جثث سبعة عشر أميرا ، أما محمد بن الخير المغراوي³ فقد قتل نفسه بسيف 360هـ/971م⁴.

ومن مظاهر الصراع بين جعفر ابن علي و زيري ابن مناد حيث زاد الانتصار الذي أحرزه بلكين منذ عهد قريب في نفوذ زيري بن مناد وأصبح يطارد حتى ضواحي المسيلة ، ولم يرضى عن هذه التدخلات الصنهاجية جعفر ابن علي والي الزاب والمسيلة .

ومن الأسباب الصراع بين عامل المسيلة وزاب جعفر ابن حمدون خلع وطاعة التي لحق بالخير بن محمد بن الخير وقومه مما كان سبب مباشر للحروب بقيادة محمد بن الخير وزيري ابن مناد سنة 360هـ/971م تحرك بلكين نحو المغرب 361هـ/972م وراح يجول أعمال طبنة وبغاية والمسيلة وبسكرة⁵.

وبعد القرار الذي اتخذه المعز لدين الله الفاطمي إلى رحيل أو ما يسمى في بحثنا الهجرة إلى مصر وهنا نتساءل :

¹ - زيري بن مناد : من أعظم ملوك البربر زعيم صنهاجة الشمال . ينظر : ابن حماد ، أخبار بني عبيد وسيرتهم ، ص68.

² - محمد بن عميرة ، المرجع السابق ، ص237.

³ - محمد بن خير المغراوي أتباع الأميين . ينظر : محمد بن عميرة ، المرجع السابق ، ص236.

⁴ - الهادي روجي إدريس ، الدولة الصنهاجية تاريخ إفرقية في عهد بني زيري من القرن 10 إلى القرن 12 ، ط1 ، ج1 ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت - لبنان ، 1992م ، ص63.

⁵ - محمد بن عميرة ، المرجع السابق ، ص237.

ماهي الأسباب هجرة المعز الفاطمي إلى مصر ؟ وهذا ما نتطرق إليه في الفصل الثاني بتفصيل .

3/الدولة الصنهاجية وحروبها مع زناتة :

-آل حكم المغرب الإسلامي بعد الرحيل المعز لدين الله الفاطمي إلى مصر تولية الحكم بالمغرب أسرة بني زيري التي تنسب إلى تلكاتة ، وهي إحدى البطون الصنهاجية وكانت مواطنهم بين المغرب الأوسط وإفريقية والتي توالى الحكم عبر ولايتها الثلاث منهم : بلكين (361هـ-373هـ/772م-984م) والمنصور الذي كانت فترة حكمه سنة (373هـ-386هـ/984م-996م) وباديس سنة (386هـ-406هـ/996م-1016م).

*ولاية بلكين بن زيري الملقب الفتوح يوسف سيف الدولة :

لما خرج أبو تميم من إفريقية إلى المشرق ، استخلف يوسف بن زيري الصنهاجي¹ ، وولاه الأشغال بالسمع وطاعة وبقي أبو الفتوح أمير إفريقية والمغرب كله² .

ولعلى ما أبرز ما وصاه على إفريقية ثلاث وصايا "يا يوسف أن نسيت ما أوصيتك به فلا تنسى ثلاث : لا ترفع الجباية عن البادية ولا ترفع السيف عن البرابرة ولا تولي أحدا من أهل بيتك فإنهم يرون أنهم أحق بهذا الأمر وأوصيك خيرا بأهل الحاضرة "³ .

والحقيقة الأمر كانت تولية بلكين بن زيري الحكم بلاد المغرب و إفريقية لإعطاء الحكم لملوك صنهاجة بدل من كتامة ، على ما يبدو أن المعز لدين الله الفاطمي أعماله الأخيرة التي حققها بنو زيري وصراعه مع والي طبنة ومسيلة ومع زناتة وهذا ما أكسبه ثقة في تولية الحكم لأهل صنهاجة كل المغرب الإسلامي وهنا نشير إلى القبائل الكبرى في المغرب الأوسط منها قبيلة كتامة وصنهاجة وزناتة ولمعرفة ذلك ينظر إلى ملحق رقم 3.

¹ - هو يوسف بن زيري الصنهاجي أبو الفتوح فوض له الأمر بإفريقية والمغرب كله سنة 361هـ عند رحيل المعز إلى المشرق . ينظر : ابن عذارى المراكشي ، المصدر السابق ، ج1، ص236 ؛ ابن أبي الدينار ، المؤنس في أخبار إفريقية وتونس ، ص76.

² - ابن عذارى المراكشي ، المصدر السابق ، ج1، ص228.

³ - ابن أبي الدينار محمد بن أبي القاسم الرعيني القيرواني ، المؤنس في أخبار إفريقية وتونس ، ط1، الطبعة التونسية بحاضرتها المحمية ، تونس، 1286م، ص76.

بعد سلسلة من الانتصارات التي تفوق فيها بلكين من بني زيري ، ووقوف بجانب الدولة الفاطمية بدأت صراعاته تتجه نحو المغرب الأوسط ، ثم رحيله من إفريقية متوجها إلى المغرب الأوسط وكان ذلك سنة 363هـ/974م، فنزل باغاية وأمن أهلها ، وهناك من رأى أنه نزل على تيهرت وظفر بأهلها فسبي الذرية ونهب الأموال ، وبلغه الأمر عن زناة أنهم نزلوا على تلمسان وملوكها ، فرحل إليها ففر إمامه وفتح تلمسان ونقلهم إلى آشير¹ .
وحدث في سنة 373هـ/984م توجه إلى سجلماسة بسبب نهب ابن خزون² فلحق به وفي طريق مات في مكان يقول له وركلان بعلة القولنج ثم قام الأمر بعده ابنه أبو الفتح³ .

*ولاية المنصور ابن يوسف بلكين بن زيري :

كان المنصور⁴ آنذاك في حاضرة آشير واستقبل الأمر بعد وفاة أبيه ، فعزوه على وفاة أبيه وأحسن إليهم فقال لهم "إن أبي وجدني أخذ الناس بالسيف قهرا وأنا لا أخذ الناس إلا بإحسان ، ولست ممن يولي ولا يعزل بكتاب ولا أحمد في هذا ملك إلا الله وبدي مازال في يد آبائي وأجدادي ورثناه عن حمير " ⁵

وعليه استاء الخليفة الشيعي في القاهرة وهذا ما جعله تأديب المنصور ، فأخذت على عاتقها قبائل كتامة واستعانة بها .

ليزداد الصراع بين قبيلتين كتامة وصنهاجة ، والحروب داخل المغرب الأوسط وتخريب مدنها.

¹ - ابن أبي الدينار ، المصدر نفسه ، ص75.

² - ابن خزون : هو واندين بن خزون بن ففلول تولى الأمر سجلماسة بعد أبيه . ينظر : محمد بن عميرة ، المرجع السابق ، ص254.

³ - الهادي روجي إدريس ، المرجع السابق ، ج1، ص95.

⁴ - المنصور ابن يوسف بن بلكين بن زيري تولى الحكم بعد وفاة أبيه سنة (374-386هـ). ينظر : الهادي روجي إدريس ، المرجع السابق ، ج1، ص98.

⁵ - المرجع نفسه ، ص95.

المطلب الثاني: الصراع الزيري الكتامي:

من البديهي أن يوجد صراع وحروب بين قبيلتين مثل صنهاجة (بنو زيري) وكتامة وهذا الصراع والحروب والصدمات التي يكون نتائجها على العمران البشري .

وعلى الرغم من الاستمرار الولاء المنصور بن بلكين للشريعة في القاهرة وإرسال الهدايا الثمينة له ، إلا أن الدولة الفاطمية أخذت الاحتياطات اللازمة بإرسال أحد الشخصيات من خراسان لنشر الفوضى داخل كتامة ضد بنو زيري ولم تبقى مكتوفة الأيدي .

-كانت القلاقل و الاضطرابات لا تخلوا في المدن المغرب الأوسط عمل أبو فهم الخرساني¹ الداعي ثم دخل كتامة سنة 376هـ/986م حيث اجتمع إليه خلق كثيرا من كتامة².

وكان يوسف بن عبد الله الكاتب³ قد أعطاه مالا وخيلا وتوجه إلى كتامة فدعاهم فأجبهوه حتى قويت شوكته ركب الخيل وجمع العساكر وضرب السكة ، ثم قتل برمح الكاتب بن عبد الله .

-ما إن تيقنت أن الدولة الفاطمية لديها يد في الثورة كتامة توجه بجيشه عام 378هـ/988م بلاد كتامة فمر على ميلة وأمر بخربها ، وهدم سورها ، ثم حاربوه أهل كتامة⁴.

¹ - أبو الفهم الخرساني : رجل خرساني قدم إلى كتامة سنة 371هـ بأمر من مصر حاصره المنصور في أمور عند فراره إلى الجبل بحيث قام المنصور بأشع القتل ضربه ضربا شديدا وقام بشواء جسمه . ينظر : النويري ، نهاية الأرب في فنون الأدب ، ج24 ، ص100.

² - ابن عذارى المراكشي ، المصدر السابق ، ج1، ص243.

³ - يوسف بن عبد الله الكاتب : الذي كان مواليا للخليفة الفاطمي الشيعي وصاحب المنصور في أمور ولايته ثم دعم يوسف وأبوه عبد الله الكاتب أبو الفهم الخرساني بالمال والمكانة وعندما سمع به المنصور استدعاه وبعد كلام طويل بينهم قتل برمحه . ينظر : ابن عذارى المراكشي ، المصدر السابق ، ج1، ص243.

⁴ - ابن عذارى المراكشي ، المصدر السابق ، ج1، ص243؛ النويري ، نهاية الأرب في فنون الأدب ، ج24، ص100.

وسار حتى أبلغ مدينة سطيف ففر أبو الفهم الخرساني إلى جبل وعر لحق به وضربه ضربا شديدا حتى أشرف على موته ، وهذه النتيجة درجة بشجاعة المنصور وحقد على كتامة وعلى محاربة وكانت وفاة المنصور عام 386هـ/996م¹.

*ولاية أبي مناد بن باديس بن أبي الفتح المنصور بن يوسف :

ولما مات المنصور قام بأمر بعده بإفريقية ولده أبو مناد باديس² سنة 386هـ/996م نزل في قصر سردانية³ و أتاه الناس من كل ناحية بإفريقيا لتبتهته وتعزيتته وأكرموه بالهدايا من كل مكان .

مما يلفت النظر من أعمال باديس أنه عقد أبو مناد ولاية أشير لعمه حماد بن أبي الفتح يوسف بن زيري مناد وأخرج له عاملا عليها وأعطاه خيلا كثيرا حيث أصبح يحكم حماد مدينة المسيلة باسم باديس في بلاد المغرب الأوسط والذي يكون له شأن في تأسيس الدولة الحمادية وهذا ما سنذكره فيما بعد⁴ .

1/صراع الزيري في عهد باديس :

أ/ استيلاء على مدينة تيهرت :

إن النزاع الذي نشب في عام 386هـ/996م وهي سنة ارتقاء باديس إلى العرش بين بني زيري من جهة وبين القائد المغراوي القوي النفوذ وهو زيري بن عطية والقائد الأندلسي بن أبي العامر ، قد انقلب ضد الزناتين و انهزموا شر هزيمة سنة 388هـ/998م .

¹ - النويري ، المصدر السابق ، ج24، ص101.

² - ولد باديس ابن المنصور سنة 374هـ/984م بالمنصورية ولى عهده في مدينة أشير وجدته يعلن وارتقى العرش وكان عمره اثني عشر لقب نصير الدولة . ينظر : هادي روجي إدريس ، المرجع السابق ، ج1، ص120؛ ابن خليكان ، وفيات الأعيان وأنباء الزمان ، ج1، ص304.

³ - سردانية : تقع بالقرب من جلولة قرب القيروان . ينظر : هادي روجي إدريس ، المرجع السابق ، ج1، ص124.

⁴ - المرجع نفسه ، ص120.

انطلق زيري بن عطية لمحاصرة تهرت سنة 389هـ/999م وكتب عاملها يطوفت إلى بديس نصير الدولة ثم أمر نائب إفريقية محمد بن أبي العرب الكاتب بخروج العساكر إلى زناتة¹.

انطلق هذا الأخير من إفريقية إلى مدينة آشير وفيها حماد بن يوسف بن زيري عامل عليها ثم أقام بيها يسيرا ثم رحل حماد معه بعسكره حتى وصل إلى تيهرت² ، اجتمعت في مجلس الحرب برئاسة القواد الثلاثة : يطوفت أخ المنصور والي تيهرت وحماد والي آشير، وبن أبي العرب عامل إفريقية على بعد مرحلتين ، حيث كانت القوة الرئيسية إلى جانب الصنهاجي بموقع آشير قلب الوطن الصنهاجي على رأسها حما بنو بلكين ، ورغم المحاولات إلى أنها لم تتجح القواد الصنهاجية حيث خلفت ضياع المال والعتاد كما قتل العديد من الجنود وكانت الهزيمة مروعة أمام القوة الزناتية³.

ب/ انتصار باديس ضد فلفل بن سعيد الزناتي:

ولا يفوتنا الانتصارات والحروب التي عرفها ولاية الزيرين حيث قام فلفل بن سعيد الزناتي⁴ بإجماع العسكر الذي كان قد سيرهم بقيام القتل العديد من الناس داخل مدن المغرب الأوسط⁵ . حيث عاث في مدن المغرب الأوسط فسادا دخل طبنة و باغاية وعندما علم باديس أمره وجه إليه جيش من آشير ثم تحرك هو وعمه أبو البهار إلى مسيلة بعد أنت ترك آشير لعمه يطوفت ومعه أولاد عمه ولأما صار بالمسيلة وصلته أنباء أن أعمامه قد خالفو عليه⁶ .

¹ - المرجع نفسه ، ص126-127.

² - هادي روجي إدريس ، المرجع السابق ، ج1، ص127-128.

³ - المرجع نفسه ، ص128.

⁴ - فلفل بن سعيد الزناتي : قام المنصور بتزويج ابنه من إحدى بنات سعيد بن خزون فو لاه المنصور سعيدا هذه المدينة مدينة طبنة . ينظر : هادي روجي إدريس ، المرجع نفسه ، ص110.

⁵ - محمد بن عميرة ، المرجع السابق ، ص259.

⁶ - أعمام المنصور : زاوي - عزم - ماكسن - معنين . ينظر : محمد بن عميرة ، المرجع نفسه ، ص272.

فبعث إليه ليتبع أثر فلول بن سعيد عمه سعيد بن بلكين ورحل إليه بعد قتل فلول بن سعيد قائده أبي زعل¹ ثم زحف إلى آشير ومحاصرته لمدينة بغاية ثم غادر إلى القيروان² والتقى الجمعان في مرماجنة 389هـ/999م ، تقاتل الجيشان وانهزم فلول بن سعيد .
فهكذا ظل باديس يعاني من الفتن والثورات ضد زناتة إلى طبنة و آشير حتى تيهرت

المطب الثالث: الصراع الزيري الحمادي:

1/ الصراع بين باديس وعمه حماد :

إن أخطر صراع هو صراع الأسرة الواحدة حيث هناك خلافات داخل الأسرة الذي يتمثل بين بنو زيري وبين بنو حماد ، فكان ذلك الذي حدث بين باديس بن المنصور وبين عمه حماد بن بلكين وهذا ما ننتهي بإشكالية التقسيم الدولة إلى مملكتين ، على ضوء هذا نطرح التساؤل التالي :

- ماهي البدايات لتقسيم الدولة الزيرية؟وماهي الوضع التي آلت إليه بعد التقسيم ؟
فمنذ عهد باديس بن المنصور الذي كان فترة حكمه سنة (387هـ/997م) حلّ حماد ابن بلكين محل يطوفت أخيه ، صاحب آشير والوطن الصنهاجي نشب الحروب بين باديس وحماد .

فهذا الأخير بعد أن سيطر على الوضع بالمغرب الأوسط أسس قلعة بني حماد واستقر بها ، وصلت الأخبار إلى باديس في شأنه ، فأصدر له أمرا با لتنازل على بعض المقاطعات واختيار الطاعة رفض ذلك حماد لأنه قرر المواجهة مع عمه باديس³ .

¹ - أبا زعل هو بن هشام وهو والي ليوسف بن بلكين وقبل وفاته ترك له وصيته للحكم . ينظر : هادي روجي إدريس ، المرجع السابق ، ج1، ص98.

² - محمد بن عميرة ، المرجع السابق ، ص273.

³ - عبد الحميد زغلول ، تاريخ المغرب العربي (الفاطميون وبنو زيري الصنهاجيون إلى قيام المرابطين) ، دار المعارف ، جامعة الإسكندرية ، د-ت، ج3، ص388.

فبعث إليه أخيه إبراهيم حيث يذكر ابن عذارى المراكشي "وخرج إبراهيم بن يوسف العزيز بالله بماله ورجاله وجمع الذخائر ولم يعقه في ذلك" ¹ .

إلا أن إبراهيم وقف مع أخيه حماد حيث خرج على رأس الجيش يقدر بثلاثين ألف بلقائه في المواجهة فهزماه إلى باجة سنة 405هـ/1014م ، عندما وصل إلى هذا الحدر جهز باديس وزحف إلي عمه وهزمه في معركة كانت سنة 406هـ/1015م والحظ وقف مع حماد عندما حاصر القلعة توفي سنة 406هـ/1016م ² .

لقد توالىت الدولة الزيرية حيث كان من ملوكها المعز بن باديس³ ببيع بالإمارة يوم وفاة أبيه بمدينة المحمدية سنة (406هـ-454هـ/1016م-1062م) وكان عمره لا يتجاوز 8 سنوات .

أخذت عنه الحكم جدته الحكم لتسير شؤون البلاد بالقيروان ، ومن أهم الأعمال التي قام بها المعز بن باديس من جانب المذهبي أنه ليس شيعي بل انتشر المذهب المالكي⁴ . وكان ذلك الانفصال بلاد المغرب عن الدولة الفاطمية التي رحلت إلى مصر بعد انتشار المذهب المالكي السني ومظاهر ذلك انتشاره في إفريقية سنة 435هـ/1081م ⁵ .

2/ الصراع بين المعز بن باديس وعمه حماد :

بعد إعلان القطيعة السياسية والمذهبية عن لدولة الفاطمية من طرف ملوك صنهاجة توجه باديس إلى عمه حماد بالمغرب الأوسط حاصر آشير وحاصرها بعساكر لا تحصى كانت بينهما وقعات وحروب وانتصر فيها المعز ابن باديس . ولا يفوتني هنا الإشارة إلى تاريخ الحملة المعز ابن باديس سنة 408هـ/1017م، وبعد انتصار المعز طلب حماد العفو ويطلب الصلح بعد الاتفاق بينهما .

¹ - ابن عذارى المراكشي ، المصدر السابق ، ج1، ص262.

² - محمد بن عميرة ، المرجع السابق ، ص288.

³ - المعز بن باديس من ملوك صنهاجة وهو ابن المنصور بن بلكين بن زيري بن مناد الصنهاجي ببيع سنة 406هـ/454 . ينظر : ابن أبي الدينار ، المصدر السابق ، ص81.

⁴ - المصدر نفسه ، ص83.

⁵ - ابن أبي دينار ، المصدر السابق ، ص83.

والجذير بالذكر بعد الاتفاق حماد مع المعز بن باديس رجع إلى المنصورية سنة 408هـ/1017م ، ولما وصل أعطى لعمه إبراهيم أموال طائلة ، فلما علم حماد بذلك بعث إليه ابنه إلى المعز سنة 408هـ/1017م أكرم عليه ذهباً وثياباً وأموالاً¹ . وعينه قائد² على مسيلة وطبنة ومرسى الدجاج³ وبلاد الزواوة ومقرة⁴ وبلزمة وسوق حمزة⁵ ، وبعد تعيين القائد ابن حماد على مدن المغرب الأوسط لتظهر دولة أخرى في سلسلة الأحداث التاريخية ما تسمى الدولة الحمادية في بلاد المغرب الأوسط . ثم أصبحت دولة بني زيري منقسمة إلى فرعين : فرع أحفاد باديس بن المنصور بالقيروان وفرع آخر خلفاء حماد بن بلكين بالقلعة بني حماد ، ليحكم الزيريين المغرب الأدنى ويتكون الحكم الآخر بالمغرب الأوسط يحكمه الحماديون⁶ ولتبيان ذلك أكثر ينظر الملحق رقم 5.

3/تأسيس الدولة الحمادية :

ليبدأ عهد جديد بالمغرب الإسلامي عامة وفي المغرب الأوسط خاصة مع القائد ابن حماد ، بعد وفاة أبيه حماد ، حيث تأكد دراسات الباحثين المختصين من بينهم رشيد بورويبة في كتابه "الدولة الحمادية" حيث كان تأسيسها الأولى وقيامها بني حماد سنة

¹ - الهادي روجي إدريس ، المرجع السابق ، ص192-193.

² - القائد ابن حماد حيث عينه المعز بن باديس عاملاً على بعض المدن المغرب الأوسط . ينظر: الهادي روجي إدريس ، المرجع السابق ، ج1، ص193.

³ - مرسى الدجاج : بالقرب من أشير وهي مدينة قد أحاط بها البحر من ثلاث نواحي ، وعليها سور من ضفة الغربية إلى الضفة الشرقية ، يسكنها الكتاميون ويسكنها الأندلسيون . ينظر : الحميري محمد بن عبد المنعم ، الروض المعطار في خبر الأقطار ، التحقيق : إحسان عباس ، ص539.

⁴ - مقرة : بينها وبين المسيلة من بلاد الزاب مرحلة وهي مدينة صغيرة وبها مزارع وحبوب ، أهلها يزرعون الكتان وبين مقرة وطبنة مرحلة بها سور وأهلها قوم من العجم وبها حصون كثيرة . ينظر : الحميري ، المصدر السابق ، ص556.

⁵ - سوق حمزة نقصد بها البويرة حالياً.

⁶ - الهادي روجي إدريس ، المرجع السابق ، ج1، ص197.

408هـ/1018م ويرجع الدور في تأسيسها إلى حماد بعد اقتطاعه مدن المغرب الأوسط من طرف المعز ابن باديس سنة 408هـ/1018م¹.

الدولة الحمادية في عهد القائد :

كان القائد ابن حماد في عهده وخليفته قوي ،حيث عين أخاه يوسف واليا على المغرب وأخاه الآخر يغلان عاملا على سوق حمزة (بويرة).

الصراع بين القائد والمعز :

نشب الصراع بينهما سنة 432هـ/1041م حيث خالف أولاد حماد على المعز بن باديس صاحب إفريقية وعادوا إلى ما كانوا عليه من العصيان والخلاف ، وخسر المعز القلعة بني حماد وضيق عليهم حوالي سنتين².

ثم طلب منه العفو من المعز بن باديس ورجع إلى إفريقية³.

كما عُرف في عهده واتسم بالانقطاع علاقته مع الدولة الفاطمية وكذلك الزيرية في القيروان وكان ذلك سنة 433هـ/1054م⁴.

ليبدأ عهد فيه كثرت القلاقل والاضطرابات وهو الزحف الهلالي وحروبه مع الدولة الحمادية بالمغرب الأوسط وهذا ما نتطرق إليه في الفصل الثاني .

¹ - رشيد بورويبة ، الدولة الحمادية تاريخها وحضارتها ، ديوان المطبوعات الجامعية المركز الوطني للدراسة التاريخية ، الجزائر ، 1977م، ص34.

² - الهادي روجي إدريس ، المرجع السابق ، ج1، ص195.

³ - رشيد بورويبة ، المرجع السابق ، ص42.

⁴ - المرجع نفسه ، ص43.

ومجمل القول في نهاية الفصل نستطيع أن نقول بعد تأسيس دول المستقلة في بلاد المغرب الأوسط مثل الدولة الرستمية التي كانت تسيطر على جغرافية حيث دافعت على مكانتها ولهذا نشب الصراع والحروب بينها وبين دولة الأدارسة والأغالبة .

ناهيك عن دخول أو اقتحام الدولة الفاطمية وبداية نشر المذهب الشيعي في بلد كتامة حتى أصبحت مدن المغرب الأوسط بؤرة لتوتر والصراعات وحروب بين القبائل الأصلية ودولة الفاطمية والتي مارست هذه الأخيرة النهب والقتل أدت إلى خسائر مالية ومادية وبشرية ،من مظاهرها سقوط المدينة تلو أخرى حتى بلغت قبيلة كتامة وقبيلة صنهاجة واستطاعة أن تسيطر عليها ، ليس بشيء كلي ولكنها أخذت حصة كبيرة من مدن المغرب الأوسط .

إلا ما يتبادر إلى الذهن ووقوف قبيلة زناتة طوال دخولها حتى رحيلها إلى مصر تواصلت الصراع وزادت القلاقل .

إلا أن تظهر الدولة الزييرية والحمادية على مسرح الأحداث حيث كانت الدولة الزييرية تحت سيطرة الدولة الفاطمية إلى غاية عهد المعز ابن باديس بعد إعلانه للقטיعة المذهبية والسياسية عن الدولة الفاطمية .

ليشع عصر آخر في الحكم وهي من الدول المستقلة داخل المغرب الأوسط لتُسير نفسها بنفسها ألا وهي الدولة الحمادية كانت في أوج ازدهارها العلمي والثقافي إلا أنها دخلت في حروب وتضايق بعد الهجرة الهلالية وهذا ما نتحدث عنه في الفصل الثاني بتفصيل .

المبحث الأول : الهجرات قبل دخول العرب الهلالية

المطلب الأول :الهجرة الإباضية نحو ورجلان (الصحراء)

كان سقوط الدولة الرستمية على أيادي الشيعة الفاطميين سنة 296هـ/777م إيذانا بانتهاء حكم الرستمين في المغرب الأوسط والتي دامت حكمها حوالي 130 سنة ، لكن هذا السقوط لم يؤدي إلى القضاء على النفوذ الإباضي في بلاد المغرب الأوسط بل توجه إلى إحدى المعازل الصحراوية لتكملت نشاطهم وهي ورجلان¹ و سدراتة² ولا يفوتنا هنا أن نشير أن الدراسات التاريخية سلطت الضوء على وجود المذهب الإباضي في المشرق والمغرب ولم يشير إلى إحدى الزوايا التاريخية التي تتمثل في دور الإباضية في ورجلان وهنا تجدر بنا طرح التساؤلات التالية :

- لماذا اتخذ الإباضية الصحراء معقلا رئيسيا لهم بعد سقوطهم في تيهرت ؟

- كيف استطاع الإباضية مواجهة الفاطميين في توغلمهم داخل صحراء ورجلان؟

حيث صورت لنا المصادر الإباضية عن فرار يعقوب بن أفلح³ متوجها من تيهرت

إلى ورجلان بعد ما قام به عبيد الله الشيعي من نهك الحرمات وإفساد السابلة

بتوجيهه إلى ورجلان واستقبله أبي صالح جنون⁴ .

¹ - وركلان : في طرف الصحراء مما يلي إفريقية ، وهو بلد خصيب وكثير النخل والبساتين وفيه سبع مدائن مسرورة حصينة ، وهي مشهورة بين وركلان والجريد أربعة وعشرين يوما ، وأهل وركلان بربر ويقلون وركلان أو ورجلان . ينظر : الحميري ، روض المعطار في خبر الأقطار ، ص600.

² - تم اكتشاف المدينة التي تقع إلى جنوب الغربي با ورجلان أي ورقلة حاليا ، وسدراته اسم قبيلة بربرية من بطون لواتة . ينظر : ياسين ضيف ، "المدن المندثرة في مغرب الأوسط دراسة تاريخية" ، مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر ، جامعة محمد بوضياف ، بالمسيلة، 2013م، 1014م، ص21.

³ - يعقوب بن أفلح : ابن عبد الوهاب بن عبد الرحمان بن رستم وهو الذي نقل الإباضية إلى ورجلان . ينظر : أبو زكرياء يحي ، سير الأئمة وأخبارهم، ص189.

⁴ - أبي صالح جنون ابن يريان تلقى يعقوب ابن أفلح واستقبله أهل ورجلان . ينظر : أبو زكرياء يحي ، المصدر السابق ، ص189.

ورحب به وأكرمه وأحسنوا إلى أهله ومكث فيها دهرا¹ وبعد إعجاب الكبير بهذا الشخص طلبوه أن يولوه الأمانة هناك فامتنع حتى توفي ودفن في مقبرة صالح جنون².

اتخذ يعقوب بن أفلق مدينة ورجلان وسدراته وبني ميزاب³ تجمع بشري للإباضية واستكمال دورهم في نشر مذهبهم الإباضي⁴ وهذا راجع إلى أهمية المكان حيث أصبحت ورجلان مركزا هاما للإباضية نظرا لتطرف الواحة في أقاسي الصحراء ، حتى لا يفلح الفاطميين في اقتحام حصونهم .

ناهيك عن الدور الهام من أنها كانت أكثر أمنا وكذلك تطور الحياة الاقتصادية والفكرية⁵ كما اتخذ الإباضيون سدراتة عاصمة لقصورهم وبناء منازلهم وتحقيق منجزاتهم الحضرية ، دون أن ننسى ملجأهم الأساسي بواد ميزاب حيث أسسوا حياتهم وأحيوا الأرض من ازدهارهم في مجال الحضاري والتجاري والفكري ودليل ذلك لازل إلى يومنا هذا خلال الفترة 421هـ/1042م⁶.

المطلب الثاني : هجرة الفاطميين إلى مصر

لقد كانت فترة الحكم وجود الفاطميين في بلاد المغرب الإسلامي فترة طويلة بعد إخضاعها لعدد من مدن المغرب الأوسط وانتشار مذهبها الشيعي وثبيت دعائمها وركائزها في المغرب الإسلامي إلا أنها واجهت العديد من المخاطر وأصبحت مكانتها

¹ - ابن الصغير المالكي ، المصدر السابق ، ص188.

² - الباروني ، المصدر السابق ، ص293.

³ - بني مزاب : كما معروف اليوم عند الجميع بوادي ميزاب ويسمى إعلان نقل للإباضيين من تيهرت إلى ورجلان واتخذ بني مزاب موضع إليهم إلى حد الآن . ينظر : عبد الكريم حساين ، "التوجه الإباضي نحو الصحراء بعد سقوط الدولة الرستمية" ، المجلة الجزائرية للبحوث والدارسات التاريخية المتوسطة " ، ع2 ، منشورات (جامعة سيدي بلعباس - بلعباس - الجزائر ، (2015)، ص30.

⁴ - المرجع نفسه ، ص29.

⁵ - المرجع نفسه ، ص29.

⁶ - عبد الكريم حساين ، المرجع السابق ، ص30.

غير مستقرة في بلاد المغرب الإسلامي لهذا نسير إلى وجود العديد من عوامل هجرة الفاطميين من المغرب إلى المشرق (مصر)

ولعل ما يكون في أخذ قرار الهجرة من المغرب إلى مصر في عهد المعز لدين الله الفاطمي الذي حكم لفترة 341هـ/952م/357هـ/967م.

لعل أهم عوامل الهجرة كانت المشرق هدف الفاطميين منذ تأسيس دولتهم وهذا ما يذكره المقرئ في كتابه إتعاط الحنفاء "رجوت أن يقرب الله علينا أمر المشرق كما قرب أمر المغرب" ¹.

وكذلك وجود عديد من الاضطرابات أحوال مصر بعد موت كافور الاخشيدي كما عظم فيها الغلاء وكثرت فيها الفتن دون أن ننسى بإعلان القطيعة المذهبية والساسية كما أسلف الذكر ².

كل هذه الظروف عجلت الهجرة الفاطمية إلى بلاد مصر وكان من بين الاستراتيجيات التي قام بيها المعز لدين الله الفاطمي في سنة 355هـ/965م أمر بحفر الآبار في طريق مصر وأن يبني له منزل وقصر وشرع وأمر جوهر الصقلي في بناء القاهرة هجرة العساكر عن طريق الجوهر الصقلي إلى الديار المصرية :

حيث كانت السنة في تجهيز القائد الجوهر الصقلي في الهجرة إلى مصر سنة 358هـ/968م قدم إلى بلاد المغرب بعسكر عظيم من كتامة و الجنود والبربر فأمرهم المعز بالاستعداد والخروج إلى مصر ، فأقام بقصر الماء بالقرب من المنصورية ليجتمع حشود من الجنود من إفريقية وكتامة ³، ثم أمر المعز للرحيل يوم السبت 358هـ /968م ثم ولى الحكم إلى بلكين بن زيري كما و ردها في الفصل السالف الذكر ⁴.

¹ - المقرئ في ، المصدر السابق ، ج1، ص96.

² - ابن خلدون ، المصدر السابق ، ج4، ص61.

³ - النويري ، المصدر السابق ، ج24، ص76.

⁴ - النويري ، المصدر السابق ، ج24، ص76.

المبحث الثاني : الهجرات بعد دخول العرب الهلالية

المطلب الأول : الهجرة الهلالية وتسربها نحو مدن المغرب الأوسط:

لم تقف خلافة الفاطميين مكتوفة الأيدي إلا بعد إعلان انفصال الدولة الزييرية عن الدولة الفاطمية ، بل أنها انزاحت إليها العرب الهلالية باختلاف بطونها وعشائرها من أجل السيطرة على الدولة الزييرية والقضاء عليها وشكلت قلاقل وحروب داخل الدولة بإفريقية (الزييرية) ولو تتبعنا تاريخهم عبر الزمن في المصادر التاريخية لوجدنا العديد من الأسباب التي حفزت الهجرة العربية إلى بلاد المغرب فما هي يا ترى ؟

أ/نسب بنو هلال :

لقد حضى تاريخ الأنساب للقبائل العربية الهلالية بمختلف فروعها ووطنها من بينهم ابن خلدون ،الذي يرجع نسبهم إلى "بنو هلال وبنو سليم من مظر¹ .

كما يذكر ابن حزم الأندلسي في نوع من التفصيل عن أصل أو نسب العرب الهلالية أنهم ينحدرون من "بني هلال بن عامر بن صعصعة بنو معاوية بنو بكر بنو هوزان بنو منصور بنو عكرمة بنو حفصة بنو قيس وبني علان بن مظر " ² .

ومن أشهر بطون بنو هلال : زغبة هم أخوة رياح ينتسبون إلى أبناء أبي ربيعة بنو نهيك بنو هلال بن عامر ، وربيعة وأثبج: هو بنو ربيعة بن ناهيك بن هلال ³ . وما يلفت النظر ويجب علينا الإشارة إليه أن بنو سليم هم أيضا من البطون العربية لكنها دخلت متأخرة خلال القرن السادس هجري والثاني عشر ميلادي حسب دراستنا للموضوع .

ب/أسباب تواجد القبائل العربية الهلالية في بلاد المغرب الأوسط :

قبل الخوض في أسباب تواجدهم في بلاد المغرب الأوسط يجب الإشارة إلى تاريخهم عبر الزمن ، وصفت المصادر التاريخية القبائل العربية بطابع البداوة والخشونة وسوء الحالة

¹ - ابن خلدون ، المصدر السابق ، ج6، ص18.

² - بشير بوقاعدة ، المرجع السابق ، ص131.

³ - ابن خلدون ، المصدر السابق ، ج6، ص25-30.

المعيشية من الجوع والفقر فعاثوا في الأرض فسادا والذين ينحدرون من شبه الجزيرة العربية¹ ، ثم تحيزوا بنو سليم وبنو هلال الى القرامطة² وصاروا جندا في البحرين وعمان وعند تغلب الشيعة الفاطميين عن القرامطة في الشام نقلوا اشياهم من العرب من بني هلال وسليم الى مصر³، ونزلهم بالجانب الشرقي من بلاد الصعيد واقاموا هناك واضرو وعثو بالبلاد حيث يصفهم ابن خلدون " فيغيرون على الضواحي ويفسدون السابلة ويقطعون على الرفاق⁴ .

ثم أراد الخليفة الفاطمي المعز لدين الله الفاطمي التخلص منهم بعد ان نفروا منهم وأقلق وجودهم⁵، وانتقال هؤلاء القبائل العربية ما تسمى الهجرة العربية إلى بلاد المغرب الإسلامي خلال النصف الأول من القرن الخامس هجري والذي تزامن مع إعلان المعز ابن باديس بالقطيعة المذهبية والسياسية وانفصاله عن خلافة الفاطمية في مصر⁶ .

لهذا عمل اليازوري وزير المستنصر فبعث هؤلاء القبائل إلى المغرب سنة 441هـ/ 1052م، وأمدهم في العطاء وأباح لهم إجازة النيل وقال لهم "قد أعطيتكم المغرب ، وملك المعز بن بلكين الصنهاجي العبد الأبق فلا تفرقون ، وكتب اليازوري إلى المغرب أما بعد "فقد أنفذنا عليكم خيولا فحولا ، وأرسلنا عليها رجالا كهولا ، ليقضي الله أمرا كان مفعولا"⁷ .

فبعد هذا الكلام يشير اليازوري في تشجيع الهجرة من مصر إلى بلاد المغرب ويكون وجود فتن وقلقل داخل إفريقية .

¹ - مؤلف مجهول ، (تغريبة بنو هلال ورحلتهم إلى بلاد الغرب وحروبهم مع الزناتي الخليفة)، ط1، دار عمر أبو النصر وشركاه للطباعة والنشر وتوزيع ، بيروت - لبنان، 1981م، ص13-14-15.

² - حركة القرامطة :هي طائفة سياسية دعت إلى الإمامة إسماعيلية بن جعفر الصادق التي نسب إلى أحد دعائها قرمط . ينظر : محمد سهيل طقوش ، تاريخ الفاطميين في شمال إفريقية ومصر وبلاد الشام ، ط2، دار النفائس ، (بيروت- لبنان)، 2007م، ص166.

³ - ابن خلدون ، المصدر السابق ، ج6، ص18.

⁴ - ابن خلدون ، المصدر السابق ، ج6، ص18.

⁵ - المقرئزي ، المصدر السابق ، ج2، ص216.

⁶ - البشير بوقاعدة ، المرجع السابق ، ص167.

⁷ - المقرئزي ، المصدر السابق ، ج2، ص216.

- فقد نجح في ذلك أجازوا النيل وبرقة ، وطمعوا في بلاد المغرب فحصل لسليم الشرق ولهلال الغرب ، وأجازت جميع بطون هلال إلى إفريقية كالجراد المنتشر ، لا يمرون بشيء إلا أتوا عليه ، حتى وصلوا إلى إفريقية سنة 443هـ/1052م¹.

ولعل ما خطر ببال المعز بن باديس كسب ود الهالين والاستعانة بهم على خصومهم من صنهاجة ورحب بالشيخ رياح ، لكن فات الأوان بعد فرعا شديدا إذ خربوا وحرقوا وأنشبوأ أضافرهم فيها ولن يستطيع المعز بن باديس إنقاذهم².

فحاول إستجداد بابن عمه حماد صاحب القلعة وبني الدعوة ودارت معركة حيدران³ 443هـ/1015م وهزم فيها المعز بن باديس ، وتعتبر نهاية للدولة الزيرية في إفريقية⁴.

وفي ظل خضم هذه الظروف المتتالية شجعت دخول العرب الهلالية في بلاد المغرب الأوسط وحيازتهم المجال داخل الدولة الحمادية ، بعد إعلان القائد بن حماد القطيعة بين الدولة الفاطمية والزيرية تولى ابنه بعد وفاته 441هـ/1049م وللمزيد أكثر ولمعرفة عن زحف الهلالي وسيطرة عن المجال ينظر إلى الملحق رقم 6.

* عهد محسن بن القائد :

قبل وفاة أبوه القائد عينه على رأس الدولة الحمادية وأوصاه بالإحسان إلى عمومته حيث ساد في عهده العديد من الاضطرابات واستدعى ابن عمه بلقين بن محمد والذي بعث به إلى طلب يوسف عامل المغرب، وفي الطريق تعاهدوا أن يقتلوا محسن⁵ فهرب إلى قلعة بني حماد ثم لحق به وقتله⁶.

¹ - ابن خلدون ، المصدر السابق ، ج6 ، ص20.

² - حسين مؤنس ، معالم تاريخ المغرب والأندلس ، مكتبة الأسرة الأعمال الفكرية ، د- م ، 1992م ، ص170.

³ - معركة حيدران : تقع بين قابس وصفاقس وقعت سنة 443هـ/1051م حصلت بين العرب الهلالية والمعز بن باديس وانهزم فيها وخربت القيروان . ينظر : عبد الحليم عويس ، دولة بني حماد ، ص178.

⁴ - حسين مؤنس ، المرجع السابق ، ص170.

⁵ - محسن ابن حماد ابن القائد وهو ذات طابع عنيف ومتجبر ، كانت لديه مكانة عند والده بعدما مرض أبيه سنة 446هـ/1054م قتل من طرف بلقين عام 447هـ/454هـ/1055م/1062م . ينظر : هادي روجي إدريس ، المرجع السابق

، ج1 ، ص286-287.

⁶ - المرجع نفسه ، ص286.

* عهد بلقين بن محمد :

ولي أمر الحكم عام 447هـ / 1055م حيث تميز عهده بالاهتمام بجارية بنت عمه وشهدت الدولة الحمادية دخول العرب الهلالية إلى المغرب الأوسط ، وقتل بلقين¹ من طرف الناصر بن عليناس² سنة 454هـ / 1062م³ .

- عهد الناصر بن عليناس 454هـ / 461م :

كان الناصر بن عليناس هو امير الخامس في الدولة ،حيث استقر في الحكم مدة 6 سنوات ولكنها كانت صرعة حيث هزم فيها هزيمة كبيرة مع الغزو الهلالي على بلاد المغرب الأوسط وما نتج عنه من تخريب لمدن المغرب الأوسط⁴، لم تكنفي العرب الهلالية وما فعلته في المغرب الأدنى إلا أنها واجهت المخاطر ودخلت إلى المغرب الأوسط فاصطدمت بالدولة الحمادية ، حيث تميز عهد الناصر بن عليناس في مواجهة العرب الهلالية بنو هلال وحفاظ على المكان ولكنه انهزم في موقعة سببية⁵ سنة 457هـ / 1064م والتي تعود جذور هذه الصرعات من الضغائن والاحقاد بين أبناء العمومة داخل الاسرة الواحدة بين حماد وباديس بن المنصور حين عهد الى حماد بمحاربة على اعمامه الذين خرجوا عليه⁶ ولتعرف عن الأمراء الزيريين والحمادين أكثر ينظر ملحق رقم 4.

¹ - بلقين هو بن محمد بن حماد خلف المحسن بن القائد بن حماد ابن أخيه تولى الحكم عام (447هـ-454هـ/1055م -

1062م) قتل من طرف الناصر ابن عليناس . ينظر : هادي روجي إدريس ، المرجع السابق ، ج1، ص287.

² - الناصر : هو بن حماد حكم 454هـ / 1062م وقد أسس الأمير الناصر بن عليناس بن حماد مدينة بجاية في 1068هـ / 460م. ينظر : عبد العزيز شهبي ، المرجع السابق ، ص62.

³ - رشيد بورويبة ، المرجع السابق ، ص58.

⁴ - محمد لبزة ، "أثر العلماء في الحياة السياسية دولة بني حماد نموذجا (408هـ/547هـ-1017هـ-1252م"، مذكرة مقدمة لنيل درجة الماجستير في العلوم الإسلامية ، جامعة الجزائر يوسف بن خدة ، 2013 - 2014م، ص29.

⁵ - موقعة سببية : حصلت بين تميم بن المعز واتحاده مع العرب الهلالية قبيلة بني ضد الناصر ابن عليناس سنة 457هـ / 1064م وسببية وهي مدينة قديمة البناء تقع على الطريق بين القيروان وتبسة يسكنها من العرب قوم يعرفون بني الكسلان . ينظر : البشير بوقاعدة ، المرجع السابق ، ص187.

⁶ - البشير بوقاعدة ، المرجع السابق ، ص187.

وبعد دراستنا للمصادر التاريخية لمعرفة أسباب موقعة سببية وقفنا على رأيين متباينين للمؤرخين وهما :

هناك من يرى ان أسباب الموقعة سببية هو تدخل الناصر بن علناس في شؤون البلاد الزيرية خاصة بعد العداء بين القبائل ابن خلدون لهذا يقول "وكان فيها المعز بن زيري صاحب فاس من مغراوة ونزلوا الأريس¹ جميعا ولقيتهم رياح وزغبة بسببية ومكر المعز بن زيري المغراوي بالناصر صنهاجة بدسياسة زعموا من تميم بن المعز بن باديس صاحب القيروان ، فجرّ عليهم الهزيمة واستباحت العرب وزناتة خزائن الناصر ومضاربه ، وقتل اخوه القاسم ونجا الى القسنطينة² .

وبعد دخول بنو هلال وتخريب وافساد السابلية حتى غلبوا صنهاجة وزناتة حتى انهم غلبوا وحاربوا إفريقية والمغرب الأوسط³ .

وتغلبوا على ضواحي تلمسان وقتل صاحبها بنواحي زاب ، ثم استقر لهم الغلب ووضع الحرب اوزارها وصالحهم الصنهاجيون ، وصاروا تفريق بين بنو هلال بين قبائلها وظاهروا والأثبج على رياح وزغبة ، وحشد الناصر بن عليناس صاحب القلعة لمظاهرهم وجمع زناتة⁴ .

كما يذكر النويري ويقتضي في سبب موقعة سببية هو صراع القديم بين حماد وباديس بن منصور "وفي سنة سبع وخمسين وأربعمائة كانت الحرب بين الناصر بن عليناس وبين محمد بن حماد ومعه رجال من أهل صنهاجة وزناتة ، ومن عدي والأثبج ، وبين العرب وهم رياح وزغبة سليم⁵ .

¹ - الأريس : هي مدينة قديمة البناء تقع على طريق بين القيروان والقلعة بني حماد تسكنها قبائل بربرية تمتاز بكثرة العيون والأنهار والثمار . ينظر : بشير بو قاعة ، المرجع السابق ، ص109 .

² - ابن خلدون ، المصدر السابق ، ج6، ص27 .

³ - المصدر نفسه ، ص20 .

⁴ - ابن خلدون ، المصدر السابق ، ج6، ص22 .

⁵ - النويري ، المصدر السابق ، ج24، ص122 .

وهذا الصراع تمثل بانفراد كل واحد بحكم وتوسع على حساب الاخر فعليه من خلال الرأيين السابقين نرجح الرأي إلى النويري وذلك لأن الناصر ابن عليّ بن عيسى و ما سفك من دماء من أجل الوصول إلى الحكم والذي تمثل في قتل بلكين بن محمد .

***موقعة سببية 457هـ/1065م:**

جعلت لقلعة بني حماد متحصن لكل الأمراء الحماديون منها المعز ابن باديس وكذلك القائد بن حماد وولده محسن وابن عمه بلكين، وبعده ابن عمه الناصر ابن عليّ بن عيسى ، حيث جعلها دار ملكهم¹.

ولما رحل المعز ابن باديس من القيروان إلى المهديّة ، تمكنت العرب من نهبها وانتقل الكثير من المهديّة إلى لقلعة بني حماد فعمرت البلاد وكثرت أموالهم وهذا ما أثار في النفوس الحقد والضغائن من أصحاب باديس ثم ولى الحكم إلى تميم ابن المعز ، فنقلت الأخبار إلى تميم بن المعز إلى المهديّة بأن الناصر ابن عليّ بن عيسى يقع في مجلسه ويذمه وأنه عزم على مسيرة ليحاصر المهديّة أنه تحالف مع بعض الصنهاجيين و الزناتين وبني هلال ليحاصر المهديّة² .

فلم علم تميم بتصحيح الكلام أرسل القبائل رياح فحاصروهم إليه وأمدهم بالمال والسيوف واتفقوا على ضرب الناصر بن عليّ بن عيسى³ ،

وهكذا نشبت المعركة بينهما وبد أكل واحد منهما حشد فريقه وقواته ، فكان الجيش الناصر مكونا من القوات النظامية والعبيد وصنهاجة وزناتة والقبائل العربية متحالفة من قبائل أثبج وعدي بينما ضم معسكر تميم قبائل بني هلال كزغبة ورياح وصنهاجة ولتقى الجمعان بوضع سببية سنة 457هـ/1065م وانهزم الناصر شر الهزيمة⁴ .

¹ - المصدر نفسه ، ج24، ص122.

² - النويري ، المصدر السابق ، ج24، ص122.

³ - المصدر نفسه ، ص123.

⁴ - المصدر نفسه ، ص123-124؛ البشير بوقاعدة ، المرجع السابق ، ص193.

وفي سنة 458هـ/1066م وانهزم عسكر جند الناصر بن حماد وقتل من أصحابه خلق كثير ونهب أمواله ¹ .

وكانت النتائج هذه الهزيمة خطيرة بما آل اليه الوضع بالمغرب الأوسط من نهب وتخريب وهذا ما نذكره في الفصل اللاحق.

ومن جهة أخرى ازداد الطمع والجشع عند العرب الهلالية وإفساد السابلة في مدن المغرب لأوسط ، ثم أصاب تميم بكثير من الحزن وعدم القبول هذا الطمع العرب الهلالية لهذا أراد تصليح بينه وبين عمه تميم وبدأت المفاوضات بينهم لهذا قرر الناصر بناء مدينة بجاية ² .

أرسل وزير الناصر أبو بكر بن أبي الفتوح أرسل رسولا من عنده إلى تميم يعتذر ويرغب في الإصلاح فقبل منه وأرسل إليه تميم محمد بنو البعيع مع الرسول الحمادي ،

ولما وصل إلى قلعة بني حماد سلم كتاب تميم إلى الناصر بن عليناس وأشار له أن يتخذ مدينة بجاية دار للملك ، ذهب الناصر إلى بجاية وأمر بناؤها ، وفي عام 460هـ/1066م فتح الناصر جبل بجاية ثم سماها الناصرية نقل إليها الناس وسكنها عام 461هـ/1067م ثم توفي الناصر سنة 481هـ/1088م ثم خلفه المنصور ³

*عهد المنصور بن الناصر :

كان المنصور ⁴ ابن إحدى عشر سنة عندما خلف أباه الناصر على العرش الحمادي ، فبقي المنصور سنتين في القلعة ثم في سنة 483هـ/1090م انتقل إلى بجاية .

حيث كلف المنصور الأمير الحمادي أبا يكنى بن محسن بن القايد بقمع ثورة بلبار ¹ ثم فتحوا قسنطينة وبونة ² .

¹ - ابن عذارى المراكشي ، المصدر السابق ، ج1، ص299.

² - رشيد بورويبة ، المرجع السابق ، ص72.

³ - المرجع نفسه ، ص74.

⁴ - المنصور : ابن الناصر حكم خلال فترة 481هـ-498هـ/1081-1104م كان قائما على أمره واتباع على سيرة والده توفي سنة 498هـ . ينظر محمد ليزة ، المرجع السابق ، ص13.

ثم تولى محاربة المرابطين الذين كانوا بالمغرب الأقصى على رأسهم يوسف بن تاشفين³ هجموا حوالي سنة 473هـ-474هـ/1080م-1082م في عهد المنصور من الناحية الغربية للمملكة الحمادية وفتحوا على التوالي تلمسان وتنس⁴ واد شلف⁵ والجزائر⁶ ثم انتصر المنصور على المرابطين ، وتم فتحه على تلمسان سنة 456هـ/1103م ثم توفي المنصور سنة 498هـ/1105م فخلفه ابنه باديس⁷ .

المطلب الثاني : الهجرة الثقافية

أ/هجرة العلماء من القيروان إلى قلعة بني حماد :

أسهم التفاعل بين المشرق والمغرب في تركيبة البنية الثقافية للدولة الحمادية ، وجعلتها حاضرة علمية شديدة التألق فاجذبت إليها العديد من العلماء والفنانين والطلاب من جميع الأقطار العربية والمسيحية وكانت بجاية والقلعة أهم مراكز للإشعاع الحضاري والعلمي . وهذا راجع للعديد من عوامل استقطاب الطلاب نذكر منها : حسن الجوار وتوفير الأمن والاستقرار دون أن ننسى سياسة التسامح الديني التي قصدها العالم المشرقي العربي والمغربي حتى أصبحت منارة العلم والمعرفة .

رغم العداوة التي ميزت طبيعة العلاقات بين بني زيري وبني حماد إلا أنه أثناء الفترات التي كان يسودها السلام والتصالح بين الدولتين ، فقد فضل العديد من العلماء والفقهاء

¹ - بليار : هو أخ الناصر ابن علياناس وياه الناصر على قسنطينة وقام بقمع هذه الثورة محسن بن القائد هذه الثورة ضد المنصور كانت سنة 487هـ/1094م. ينظر : رشيد بورويبة ، المرجع السابق ، ص74.

² - بونة : من بلاد إفريقية ، وهي مدينة قديمة من بناء الأول وبها آثار كثيرة ، وهي على الساحل البحر وأكثرها لبنا وعسلا وحوت . ينظر : الحميري ، المصدر السابق ، ص67.

³ - يوسف بن تاشفين : المؤسس الدولة المرابطين بالمغرب الأقصى قام منذ 453هـ/454هـ بتنظيم جيش فقسمه فرق وتولى اهتمام بتنظيم الدولة . ينظر : عبد العزيز شهبي ، المرجع السابق ، ص67.

⁴ - تنس : بينها وبين البحر ميلان ، وهي مسورة حصينة وداخلها قسبة صعبة المرتقى ينفرد بها ساكنها عامل تنس ، وبها مسجد جامع وأسواق حافلة كثيرة . ينظر : مؤلف مجهول ، الإستبصار ، ج7، ص133.

⁵ - هو نهر كبير مشهور يشق الجزء الغربي للمغرب الأوسط ، يسقي مليانة وهو أكبر وادي المغرب الأوسط . ينظر : يحي بوعزيز ، الموجز في تاريخ الجزائر ، ج2، دار البصائر ، الجزائر ، 2009م، ص101.

⁶ - مدينة الجزائر : مدينة أزلية على ضفة البحر والبحر ضرب في سورها ، وهي قديمة البناء أزلية فيها آثار عجيبة تدل على أنها كانت دار مملكة . ينظر : مؤلف مجهول ، المصدر السابق ، ج7، ص132.

⁷ - رشيد بورويبة ، المرجع السابق ، ص76.

والأدباء والشعراء والمفكرين الأفارقة للبقاء في قلعة بني حماد، وكانت الهجرة القيروانية بعد تخريب مدينة القيروان ومن هؤلاء نذكر¹.

أبو الفضل النحوي:

تعلم بإفريقية على الأئمة الكبار ثم قصد المغرب متأثراً بآراء الغزالي، ثم انتقل إلى قلعة بني حماد سنة 494هـ/1100م واستقر بها ومارس مهنة التدريس وكان شاعراً وفاضلاً وزاهدا توفي سنة 513هـ/1119م²

أبو علي حسن بن رشيق :

وهو من شعراء الدولة الزييرية ومن أحد الفضلاء والنوابغ ولد بالمهدية 390هـ/1000م وتوفي سنة 463هـ/1071م دخل القيروان ومازال بها حتى هجمت قبائل بني هلال حيث أصبح من الشعراء ثم انتقل مع المعز إلى المهديّة أثناء حصار بني هلال القيروان وكان مشتهراً بالديوان الشعري³

ب- هجرة العلماء الأندلسيين إلى قلعة بني حماد :

انتقل علماء الأندلس إلى الدولة الحمادية ، ولقي علماء الأندلس تشجيع من أهل المغرب الأوسط ، حيث تميزوا من امتزاج حضاري وعلمي ، وشاركوا في العديد من المراكز العلمية مثل المساجد والمدارس لاسيما في جامعة سيدي تواتي التي كانت تضم حوالي ثلاثة آلاف طالب ، وكان يدرس فيها ما لا يقل عن عشرة من علماء الأندلس في مختلف العلوم كالطب والهندسة ومن أبرز هؤلاء العلماء⁴

أحمد بن حصين بن أحمد الأنصاري :

ولد بدانية عام 467هـ/1075م ودرس بهذه المدينة ، انتقل إلى مدينة بلنسية ومنها عبر على بجاية ومنها إلى قلعة بني حماد ، حيث درس وتعلم على يد أبي مروان الحمداني و

¹ - عبد الغاني حروز، "العلاقات الثقافية للدولة الحمادية مرحلة القلعة نموذجا (408هـ-461هـ.....)"، مجلة العلوم الاجتماعية والإنسانية ، ع: 12، جامعة محمد بضيف بالمسيلة - المسيلة ، الجزائر(جوان 2017م) ، ص240.

² - عبد الغاني حروز ، المرجع السابق، ص242.

³ - المرجع نفسه ، ص243.

⁴ - المرجع نفسه ، ص246.

المازوني ثم إتجهى من القلعة على بجاية ودرس بها على يد محمد المقرئ ، توفى عام 532هـ/1138م¹ .

أبي محمد عبد الحق الإشبيلي :

وهو أبو محمد عبد الحق عبد الرحمان بن عبد الله الأزدي الإشبيلي ، يعرف بابن الخراط الإشبيلي النازلين إلى بجاية ، وكان جدوده من القيروان وانتقلوا إلى إشبيلية ثم توجه إلى بجاية وهو فقيه ومحدث وأديب ، توفى عام 571هـ/1177م² .

¹ - المرجع نفسه ، ص247.

² - صديرة بوعزيز ، "العلاقات الثقافية لقلعة بني حماد (408هـ-461هـ/1017م-1070م)" ، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر أكاديمي في التاريخ ، جامعة محمد بوضياف ، المسيلة - الجزائر ، 2017-2018م ، ص53.

ولابأس أن نختم هذا الفصل بعد الدراسة التاريخية التي اعتمدنا عليها وضحت لنا وجود العديد من التنوع من الهجرات بين الداخل والخارج.

فكانت الهجرة الداخلية في حدود المغرب الأوسط ومنها انتقلت الدولة الرستمية من تيهرت إلى مدينة ورجلان والتي اتخذتها الإباضية أحد المعاقل الأساسية لنشر المذهب الإباضي ،دون التوقف عن مساهمهم الاقتصادي والمذهبي .

أما عندما نتحدث عن الهجرة الخارجية التي تمثلت في انتقال الدولة الفاطمية إلى المشرق (مصر) والتي كانت حلمها الأول والأخير منذ بدايتها لنشر المذهب الشيعي .

دون أن ننسى هجرة العرب الهلالية التي أخذت قسطا من الهجرات التي تسربت نحو مدن المغرب الإسلامي عامة ومدن المغرب الأوسط خاصة وما فعلته من حروب من أجل حيازة المجال والتوسيع داخل جغرافية بلاد المغرب .

كما نذكر نوع آخر من الهجرات كالهجرة الثقافية التي احتضنتها قلعة بني حماد خلال القرن الخامس هجري وكان من أسباب الهجرة خراب القيروان من طرف العرب الهلالية ، وانتقل العلماء و النبغاء إلى قلعة لتوسيع أفكارهم ، كما ساهمت الهجرة الأندلسية بدور بارز في الإمتزاج الفكري والحضاري لقلعة بني حماد.

المبحث الأول : خراب مدن المغرب الأوسط في ظل الحروب

المطلب الأول : مدينة سطيف

وصفتها المصادر الجغرافية بأن مدينة سطيف تقع في جبال كتامة بين تاهرت والقيروان من لأرض البربر، فكانت تموقعها ببلاد المغرب وهي صغيرة إلا أنها ذات مزارع وعشب عظيم¹.

وكان اسم صاحبها علي بن حفص عندما اقتحمها أبو عبيد الله الشيعي ، حيث أخذت قسط من التخريب¹ الشيعي للمدن المغرب لأوسط².

ومن مظاهر ذلك التهديم سورها وقصورها ومنازلها وهذا ما يذكره ابن خلدون "حضر أبو عبيد الله الشيعي نفسه واجتمعت إليه أهل كتامة وزحف إلى مدينة سطيف فحاصرها مدة... ثم دخلها وهدمها " ³ .

إن هذه الحروب التي مارستها الدولة العبيدية في ظل التوسع على المناطق والقضاء على الدولة الأغلبية خلال القرن 3هـ/9م.

يجب علينا أن نشير الى أن هذا التهديم وما نتج عنه من انعكاسات على العمران البشري من مظاهر ذلك : تهديم القصور والمسكن والمساجد وقتل عديد من البشرية .

المطلب الثاني : مدينة تيهرت

تعتبر مدينة تيهرت من بين أهم المدن المغرب الأوسط والتي أشارت إليها المصادر الجغرافية بإسهاب ، حيث تعود كلمة تيهرت الى كلمة بربرية تعني المحطة او لإقامة ويبدو حالياً لا فرق بين المعنيين⁴.

¹ - ياقوت الحموي ، المصدر السابق ، ج3 ، ص220.

² - القاضي نعمان ، المصدر السابق ، ص102.

³ - ابن خلدون ، المصدر السابق ، ج4 ، ص45.

⁴ - إبراهيم بحاز ، المرجع السابق ، ص90.

حيث اشتهرت بالأنداء والضباب والمطار وهي مدينة جميلة وجلييلة ومتميزة بالأنهار والثمار ، سمية عراق المغرب وفيها قصبة مشرفة على سوق تسمى المعصومة¹ .

بعد تألقها وجمال مكانتها تعرضت إلى التخريب بسبب الفتن الداخلية والخارجية ومما زاد الأمر أسوء في الدولة الرستمية بعد الحصار الذي شهدته من طرف الدولة العبيدية بزعامة أبو عبيد الله الشيعي الذي قام بعدد من الحروب والصراعات التي بدأت تتخر جسم الدولة الرستمية والتي أثرت على العمران البشري وساءت الأحوال داخل المدينة .

فكانت السنة 296هـ/909م خراب المدينة والاعتداء عليها وهذا ما أورده مؤرخين الإباضية داخل نصوصهم لتطرقهم إلى عملية التخريب .

نذكر منهم الباروني حيث يقول "دخل الحجاني الى تيهرت ونهب واستباحها وقصد المكتبة المعروفة بالمعصومة و أخذ ما فيها من الكتب الرياضية والصنائع وغيرها من الفنون الدنيوية وأحرق الباقي كله"².

ومن مظاهر التخريب أيضا للمدن المغرب الأوسط في ظل الحروب حيث دخلت العساكر أبو عبيد الله الشيعي إلى تيهرت و قتلوا الرجال وسبوا النساء والذرية ونهبوا الأموال وحرقوا المدينة بالنار³ .

إذن نلاحظ مدينة تيهرت كانت بؤرة لتوتر وتخريب من طرف الدولة العبيدية وكذلك دامت هذه الحروب خلال الفترة الزيرية والتي أخذت قسط من التخريب العمراني من قصورها ومنازلها وكذلك حرق مكتبتها المعصومة .

¹ - ياقوت الحموي ، المصدر السابق ، ج 2، ص8.

² - الباروني ، المصدر السابق ، ص293.

³ - ياسين ضيف ، "المدن مندثرة في المغرب الأوسط دراسة تاريخية " ، مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر تخصص: تاريخ القرون الوسطى ، جامعة محمد بوضياف بالمسيلة - الجزائر ، 2013-2014م ، ص28.

المطلب الثالث : مدينة باغاية

مدينة بإفريقية أولية جليلة تقرب من مدينة خنشلة ذات ثمار ومزارع ومسارح وهي على مقربة جبل الأوراس ، كان هذا الجبل مستقر الكاهنة التي انطقت الحرب مع حسان بن نعمان الغسان¹ أيام الفتوحات الإسلامية² تعرضت هذه المدينة إلى التخریب أيام الحكم الكاهنة وأخرجت ما فيها وظنت منها أن حسان بن نعمان التحصن بها³ .

كما تعرضت إلى التخریب أيام الفاطميين بعدما أخذت البيعة لأبي يزيد الزناتي سنة 331هـ/942م في محاربة الدولة الفاطمية ، حيث سار ابي يزيد بجيشه إلى القيروان وفي الطريق دخل عديد من المدن وكانت أول مدينة باغاية⁴ .

وهي أحد المحطات التي اقتحمها آياها ومخربا عمرانها ومستبيحا قصورها عام 332هـ/944م⁵ .

كان مستعمل أسلوب الحرب والتخریب في إقتحامه لهذه المدينة وشن الهجوم على مدينة ‘حاصرهما مرتين المرة الأولى نجح فيها ‘ولكن المرة الثانية انهزم فانسحب بجيشه إلى الأوراس⁶ .

¹ - هو حسان بن نعمان بن عدي بن بكر من مغيث بن عمرو بن عامر بن الأزد قدم إلى إفريقية في عسكر عظيم سنة 78هـ. ينظر: ابن عذارى المراكشي ، المصدر السابق ، ج1، ص34.

² - الحميري ، المصدر السابق ، ص76.

³ - المصدر نفسه ، ص76.

⁴ - البشير بوقاعدة ، المرجع السابق ، ص108.

⁵ - المرجع نفسه ، ص108.

⁶ - محمد بن عميرة ، المرجع نفسه ، ص201.

المطلب الرابع : مدينة آشير

تقع مدينة آشير على حوالي 150 كلم جنوبي شرقي الجزائر العاصمة في جبل تيطري على حوالي 12 كلم عن عين يوسف حاليا¹.

والتي كان مؤسسها هو زيري بن مناد سنة (324هـ/935م) شيد قصرا شاكلته القصر الذي استقبل فيه المعز لدين الله بالمهدية والتف حوله العلماء والأدباء و الموسيقين². والتي تنتمي هذه المدينة إلى قبيلة صنهاجية وهي التي قامت بدورها قامت بدورها في وقوف مع الدولة الفاطمية وتؤدي دور كبير في خدمتها ، كما اشتغل أهلها بزراعة والصناعة ثم تعرضت الى التخريب من طرف الحماديون وهذا ما ذكره ابن عذارى المراكشي "وخربها يوسف بن حماد الصنهاجي³ واستباح أموالها بعد الأربعين والأربعمئة" أي ان كان تخريبها 440هـ /⁴.

حيث زحف وقتها يوسف بن حماد من قلعته وأقدم على تخريب مدينة آشير وبعدها استباحها وكان نتائجها وخيم على التوسيع العمراني لمدينة آشير⁵. وكذلك وجب علينا التنويه أنها خربت من طرف المرابطين للمرة الثانية بسبب الصراع القائم بين جيوش الحمادية والمرابطية خاصة بعد الاستلاء لدولة المرابطية على تلمسان سنة 472هـ/1079م⁶.

¹ - رشيد بورويبة ، المرجع السابق ، ص9.

² - محمد طمار ، الروابط الثقافية بين الجزائر والخارج ، الشبكة الوطنية للنشر وتوزيع ، الجزائر ، 1983م ، ص120.

³ - يوسف بن حماد الصنهاجي والي المغرب وهو أخ القائد بن حماد. ينظر : رشيد بورويبة ، المرجع السابق ، ص124.

⁴ - ابن عذارى المراكشي ، المصدر السابق ، ج1، ص216.

⁵ - بشير بوقاعدة ، المرجع السابق ، ص252.

⁶ - المرجع نفسه ، ص253.

المبحث الثاني: التخريب المدن المغرب الأوسط في ظل الهجرات (3-5هـ/9-11م)

المطلب الأول : مدينة طبنة

تقع هذه المدينة بين وادي بركة وواد مزون، تناولتها المصادر المتقدمة نضيرا لمكانتها المرموقة التي وصلت إليها، ويعود ذلك لكونها دخلت الإسلام مبكرا في السنوات الأولى لعملية الفتح فقد وصلها عقبة ابن نافع الفهري¹. في حملته الثانية نحو المغرب الأقصى² ويرجع لفظة طبنة في لغة العربية تطلق على اسم لعبة يلعبها الأعراب³. كما عرفت مدينة طبنة في العهد الأغلبي مكانة مرموقة لكونها قاعدة عسكرية ، أما بنسبة عناصرها سكانها "أخلاق من قريش والعرب والجند والعجم والأفارقة والروم والبربر وهي تشكل عاصمة الزاب⁴. غير أن هذه المدينة رغم مكانتها التي حظيت بها عسكرية واقتصادية تعرضت لتخريب العمراني من طرف العرب الهلالية خلال القرن الخامس هجري . دون أن ننسى أنها تعرضت إلى التخريب من الطرف الفاطمية وما نتج عنها من تخريب سورها وعمرنها.

¹ - نسبه هو عقبة بن نافع بن عبد القيس بن لقيط بن عامر بن أمية بن طرف بن الحارث بن فهر ووصل عقبة بن نافع الفهري إلى إفريقية في آلاف من المسلمين ففتحها و دخلها . ينظر : ابن عذارى المراكشي ، المصدر السابق ، ج1، ص27.

² - ياسين ضيف ، المرجع السابق ، ص16.

³ - المرجع نفسه ، ص16.

⁴ - البشير بو قاعدة ، المرجع السابق ، ص202.

المطلب الثاني : مدينة المسيلة

حضيت مدينة المسيلة باهتمام كبير لدى الجغرافيين والرحالة والتي تقع في بلد الزاب بالمغرب بالقرب من قلعة أبي الطويل وهي مدينة جليلة على نهر سهر في بساط من الأرض وهي التي تمتاز بكثير من النخيل و اللبستين تشقها من جداول المياه العذبة ¹. سميت المحمدية، إختطها أبو القاسم محمد ابن المهدي سنة 315هـ / 927 م وتم بنائها ابن حمدون الأندلسي ².

ويهدف من بنائها وتحصينها أن يجعلها قاعدة أساسية للجيش الفاطمي الشيعي وأحاطها ابن حمدون بسورين وجعل لها أبوابا ونما عمرانها ، حيث ازدهرت بعديد من الثروات الاقتصادية كالشعير والأغنام والقمح والبقرة ³.

ومع الدخول العرب الهلالية إلى الأرض المغرب الأوسط خلال النصف الأخير من القرن الرابع هجري بداية القرن الخامس هجري ، تعرضت إلى التخريب ونهب والحرق بسبب موقعة سببية سنة 457هـ / 1062 م التي قال عنها ابن خلدون "ثم لحقوا بالقلعة فنازلوها وخرّبوا جناباتها و أحبّطوا عروشها 'وعاجوا على هنالك من الأمطار ثم طبنة ومسيلة فخرّبوه ساكنيها 'وعطفوا على المنازل والقرى والضياع والمدن فتركوها قاعًا صفاً أقفر من بلاد الجن وأوحش من جوف العير' وغوروا المياه واحتطبوا الشجر وأظهروا في الأرض فساد".

المطلب الثالث : مدينة قلعة بني حماد

ذكرت المصادر التاريخية أن قلعة بني حماد بنيت على المنحدر وعر فوق سفوح الجبل تيقست ¹ على الحدود الشمالية لسهول الحضنة على مسافة 26 كيلو متر من المسيلة في جبل اسمه جبل عجيسة ².

¹ - الحميري ، المصدر السابق ، ص558.

² - الياقوت الحموي ، المصدر السابق ، ج 5، ص130.

³ - البشير بوقاعدة ، المرجع السابق ، ص204 - 205.

يحد القلعة شرقا وادي فرج الذي يجري من الشمال إلى الجنوب من بينه جبل الرحمة وجبل زوروق والذي يمتد على ضفة الوادي اليسرى (يسمى بواد جراوة) ³ .

ولكن سرعان ما دبَّ فيها من الانحطاط في القلعة بني حماد بسبب الزحف الهلالي الذي شمل المغرب الأوسط حيث بسط نفوذه على الأرياف ، فكانت الهزيمة الحقيقية لتخريب القلعة بني حماد بعد موقعة سببية ونتائجها الخطيرة على عمرانها وما لحقتها من أضرار من نهب وسرق السلاح ودواب بعدما سيطرو على معسكر الناصر ابن عينا ⁴ .

وفي ظل العوز إلى المادة الخيرية وبما حلَّ بعمران مدينة القلعة وما يفيدنا ابن خلدون مفاده أن المدينة تعرضت إلى التخريب من طرف القبائل الهلالية بعد ملاحقة الناصر ومحاصرته الى المدينة ، إذ تذكر المصادر والمراجع التي تناولت الموضوع أن بعد دخول العرب الهلالية قاموا بتخريب وإفساد السابلة ، حيث عملوا ببسط نفوذهم على السهول الاستلاء على الجبال والأراضي المغرب الأوسط .

ولا بأس أن نختم هذا الفصل نتحدث فيه عن آثار الحروب والهجرات على العمران البشري وهو عمران العالم .

في ظل التراجع الذي تعرفت عليه المدن المغرب الأوسط من آثار وخيمة أثرت عديد من الجوانب منها آثار عمرانية ، ومن مظاهر ذلك التخريب ونهب وسقوط عديد من البنايات مثل تحطيم المساجد والبيوت والقصور في ظل الحروب التي كانت قائمة بداية القرن الثالث هجري التاسع ميلادي .

¹ - تعني بالغة البربرية السرج وحولها العرب إلى جريسة والمعروف بجبل المعاضيد . ينظر : أسماء مخطاري ، "قلعة بني حماد الوزن السياسي والدور الحضاري في العهد الحمادي" ، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر في تاريخ وحضارة المغرب الإسلامي ، جامعة مولاي الطاهر ، سعيدة - الجزائر ، 2014-2015م ، ص15.

² - المرجع نفسه ، ص15.

³ - المرجع نفسه ، ص16.

⁴ - البشير بوقاعدة ، "التخريب الهلالي لقلعة بني حماد مقارنة بين العوامل الازدهار وأسباب التراجع والاندثار" ، د- ت ، جامعة سطيف - الجزائر ، ص83-84.

كما تعرضت المدن المغرب الأوسط كذلك إلى تحطيم وخراب مدنها ونهب قصورها أواخر القرن الرابع هجري العاشر ميلادي أثناء الهجرة الهلالية إلى مدن المغرب الأوسط وما قامت به من نهب وسرقة وتخريب المدن .

الخاتمة:

من خلال هذا العرض الموجز للموضوع الحروب والهجرات وأثارها على العمران المغرب الأوسط في العصر الوسيط نخرج بعدة من الاستنتاجات .

بعد تأسيس الدول المستقلة في بلاد المغرب الوسط مثل مدينة مدينة تيهرت بدأت في الحروب مع جيرانها ودخولها في حيز الصراعات والحروب وهذا ما انطبع عليه من الصراع داخل المغرب الأوسط.

لتدخل معترك الحياة الخلافة الفاطمية في بؤرة التوتر والتصادم مع مدن المغرب الإسلامي بصفة عامة ومدن المغرب الأوسط بصفة خاصة و ما فعلته من إجراءات بكل شراسة وما عملته من نهب وحرق و اقتحام مدن ثلو الأخرى وهذا ما نتج عنه من تخريب المدن المغرب الأوسط.

شاركت أيضا حدة النزاعات والحروب بين الدولتين الزيريين والحمادين من أجل البسط نفوذ كل منهما .

كما ساهمت أيضا العرب الهلالية في إحداث نوع من الفتور الحضاري والعمراني في المدن المغرب الأوسط من إحداث الصراعات والفتن ونهب وإفساد السابلة فكان له أثر بالغ في التخريب مثل مدينة المسيلة وغيرها .

دون ان ننسى الدور الهجرات العلمية التي كانت نعمة على مدن المغرب الأوسط والتي تمثل افتتاح حضاري وتمازج علمي .

كان لهذه الحروب والهجرات دور بارز في زوال وتخريب المدن المغرب الأوسط وسقوط العديد منها وهذا ما تزعزعت الساحة العمرانية للمنطقة وسقوط شواهدا مثل التخريب والسقوط المساجد والقصور والمنازل.

قائمة المصادر والمراجع:

1-المصادر :

-القرآن الكريم، برواية ورش.

1-إبن الأثير بن عز الدين أبي الحسن علي بن أبي أكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري(ت630هـ) ، الكامل في التاريخ ، تحقيق: محمد يوسف الدقاق ، مج6، ط1، دار الكتب العلمية ، بيروت - لبنان ، 1408-1887م ، ج6.

2-الإدريسي أبي عبد الله محمد بن عبد الله بن إدريس الحموي (ت560هـ)، نزهة المشتاق في إختراق الآفاق ، مج، مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة ، 2002م.

3-الباروني عبد الله النافوسي ، أزهار رياضية في الأئمة وملوك الإباضية ، دن ، د- م ، د-ت، ج2.

4-أبو الحسن أحمد بن فارس بن زكرياء القرويني الرازي (ت395هـ)، معجم المقاييس اللغة ، التحقيق: عبد السلام محمد هارون ، دار الفكر ، د-م ، 1979م، ج6.

5أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي (ت458هـ) ، المحكم والمحيط الأعظم ، تحقيق: عبد الحميد هنداوي ، ط1، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 200م، ج3.

6-إبن حماد الصنهاجي لأبي عبد الله محمد بن علي ، أخبار بني عبيد وسيرتهم ، التحقيق : التهامي نقرة وعبد الحليم عويس ، دار الصحوة ، القاهرة ، د-ت .

7-الحموي ياقوت شهاب الدين أبي عبد الله الرومي البغدادي (ت626هـ)، معجم البلدان ، مج2، دار الصادر ، بيروت ، 1977م، ج3/4.

8-الحميري محمد بن المنعم ، روض المعطار في خبر الأقطار، التحقيق: إحسان عباس، ط2، مكتبة لبنان ساحة الرياض الصلح ، بيروت - لبنان ، 1984م.

9-إبن خلدون عبد الرحمان (ت808هـ) ، العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر ، ط1، دار إبن الجوزي ، القاهرة ، ج1.

- إبن خلدون عبد الرحمان (ت808هـ)، العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر ، تحقيق : سهيل زكار ، دار الفكر ، بيروت - لبنان ، 2000، ج4/6.
- 10- إبن خليكان أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد (ت681هـ) ، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، تحقيق إحسان عباس ، دار الصادر ، بيروت ، 1970م.
- 11- إبن أبي الدينار محمد بن أبي القاسم الرعيني القيرواني ، المؤنس في أخبار إفريقية وتونس ، ط1، الطبعة الدولية التونسية بحضارتها المحمدية ، تونس ، 1286م.
- 12- أبو زكرياء يحي بن أبي بكر سير الأئمة وأخبارهم ، تحقيق : إسماعيل العربي ، ط2، دار الغرب الإسلامي ، بيروت - لبنان ، 1982م.
- 13- إبن أبي الزرع الحسن علي بن عبد الله الفاسي ، الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار مدينة فاس ، التحقيق : كارل يوحن تورنبوغ ، دار الطباعة المدرسية ، مدينة أويسالة ، 1863م.
- 14- السلاوي أحمد بن خالد الناصري ، الإستقصاء الأخبار دول المغرب الأقصى ، د-ن ، د-م ، د-ت ، ج1.
- 15- إبن الصغير المالكي (عاش خلال القرن 3هـ/9م) ، أخبار الأئمة الرستمين ، التحقيق : محمد الناصر إبراهيم بحاز ، د-ن ، الجزائر ، 1985م.
- 16- أبو عبد الرحمان الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهدي البصري (ت170هـ) ، كتاب العين ، التحقيق : مهدي المخزومي وإبراهيم السمارائي ، دارالمكتبة الهلال ، د-م - دن ، ج3 .
- 17- إبن عذارى المراكشي ، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب ، تحقيق : جيمس كولان وليفي بروفنسال ، ط3، دار الثقافة ، بيروت - لبنان ، 1973 ، ج1.
- 18- القاضي نعمان أبي حنيفة بن محمد التميمي المغربي ، إفتتاح الدعوة ، مؤسسة الأعلى للمطبوعات ، بيروت - لبنان ، 2005 .

- 19- **المقريري لتقي الدين أحمد بن علي** ، إتحاظ الحنفاء بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء ، التحقيق : جمال الدين شيال ، ط2، جمهورية المصرية ووزارة الأوقاف ولجنة الإحياء وتراث ، القاهرة ، 1996 م ، ج1.
- 20- **إبن المنظور أبو الفضل محمد بن مكرم بن علي جمال الدين الأنصاري** (ت711هـ)، لسان العرب ، ط1، مج2 ، دار المعارف ، القاهرة ، 1119م.
- 21- **مؤلف مجهول** ، الإستبصار في عجائب الأمصار ، نشر وتعليق : عبد الحميد وسعد زغلول ، ط 2، دار النشر المغربية ، الرباط ، 1986 م، ج9/6 .
- 22- **مؤلف مجهول** ، تغريبة بنو هلال ورحيلهم إلى بلاد الغرب وحروبهم مع الزناتي مع الخليفة ، ط1، دار عمر أبو النصر وشركاء للطباعة والنشر وتوزيع ، بيروت - لبنان ، 1981م.
- 23- **أبو النصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفرابي**(ت393هـ) ، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية ، التحقيق : أحمد عبد الغفور عطار ، ط4 ، دار العلم للملايين ، بيروت 1987م ، ج1.
- 24- **النويري شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب** (ت733هـ) ، نهاية الأرب في فنون الأدب ، التحقيق : عبد المجيد ترخي ، منشورات محمد علي بيضون دار الكتب العلمية ، بيروت - لبنان ، د-ت ، ج1 / ج24 / ج28 .
- 25- **اليقوبي أحمد بن أبي يعقوب إبن إسحاق** ، فتوح البلدان ، التحقيق : محمد أمين الضناوي ، ط1 ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 2002 .

2-المراجع :

- 1/ بحاز إبراهيم ، الدولة الرستمية دراسة في الأوضاع الاقتصادية والحياة الفكرية ، ط 2، جمعية التراث ، الجزائر، 1993م.
- 2/ بورويبة رشيد ، الدولة الحمادية تاريخها وحضارتها ، ديوان المطبوعات الجامعية المركز الوطني لدراسة التاريخية ، الجزائر، 1977م.
- 3/ بوعزيز يحي ، الموجز في التاريخ الجزائر ، دار البصائر ، الجزائر، 2009م ، ج 1.
- 4/ بوقاعدة البشير ، الصراع العسكري وخراب المدن بالمغرب الأوسط والأدنى ، دار ميم لنشر ، الجزائر، 2015م.
- 5/ أبو جيب سعدي ، القاموس الفقهي لغة واصطلاحا ، ط 2، دار الفكر ، دمشق - سوريا ، 1988م.
- 6/ حسين مؤنس ، معالم في تاريخ المغرب والأندلس ، مكتبة الأسرة الأعمال الفكرية ، د - م ، 1992م.
- 7/ روجي إدريس الهادي ، الدولة الصنهاجية تاريخ إفرقية في عهد بني زيري من القرن 10 إلى 12، ط 2، دار الغرب الإسلامي ، بيروت - لبنان ، 1992م ، ج 1.
- 8/ زغلول عبد الحميد ، تاريخ المغرب العربي ، الفاطميون وبنو زيري الصنهاجيون إلى قيام المرابطين ، دار المعارف ، الجامعة الإسكندرية ، د - ت ، ج 3.
- 9/ سالم عبد العزيز ، تاريخ المغرب في العصر الاسلامي ، ط 2، مؤسسة الشباب الجامعي ، الإسكندرية ، 1999م.

- 10/ شهبي عبد العزيز ، تاريخ المغرب الإسلامي ، مؤسسة كنوز الحكمة ، الجزائر، 2013م.
- 11/ طقوش محمد سهيل ، تاريخ الفاطميين في شمالي إفريقيا ومصر وبلاد الشام ، ط2، دار النفائس ، بيروت – لبنان ، 2007م.
- 12/ طمار محمد ، الروابط الثقافية بين الجزائر و الخارج ، الشبكة الوطنية للنشر و توزيع ، الجزائر، 1983م.
- 13/ بن عميرة محمد ، دور زناتة في الحركة المذهبية ، المغرب الإسلامي ، مؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر، 1984م.
- 14/ عويس عبد الحليم ، دولة بني حماد ، دار الصحوة ، ط2، القاهرة ، 1991م.
- 15/ محمود إسماعيل ، دولة الإدريسية حقائق جديدة ، ط1، مكتبة مدبولي ، القاهرة ، 1991م.
- 16/ منصور علي ، الشريعة الإسلامية والقانون الدولي العام ، إصدار : محمد توفيق عويضة ، القاهرة ، 1971-1390م.

3- المجالات:

- 1/ بو قاعدة البشير، "التخريب الهلالي لقلعة بني حماد مقارنة بين العوامل الازدهار وأسباب التراجع و الاندثار"، د-ن، جامعة سطيف، الجزائر، د - ت.
- 2/ حروز عبد الغاني، "العلاقات الثقافية للدولة الحمادية مرحلة القلعة نموذجاً (408هـ/461هـ / 1017م-1070م)، مجلة العلوم الإنسانية، ع : 12، جامعة محمد بوضياف بالمسيلة، الجزائر، 2017م.
- 3/ حساين عبد الكريم، "التوجه الإباضي نحو الصحراء بعد سقوط الدولة الرستمية"، مجلة الجزائرية للبحوث والدراسات التاريخية المتوسطة، ع : 2، منشورات جامعة سيدي بلعباس، الجزائر، 2015م.

4- الرسائل الجامعية :

- 1/ بوعزيز صبرينة، "العلاقات الثقافية لقلعة بني حماد (408هـ-461هـ/1017م-1071م)، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر أكاديمي في التاريخ، جامعة محمد بوضياف بالمسيلة، 2017-2018م.
- 2/ سعد الدين سمية، "إشكالية إنقسام البيت الصنهاجي الزيري وتداعيتها"، مذكرة لنيل شهادة الماستر، جامعة محمد بوضياف بالمسيلة، 2013م - 2014م.
- 3/ ضيف ياسين، "المدن مندثرة في المغرب الأوسط دراسة تاريخية"، مذكرة مكتملة لنيل متطلبات الماستر تخصص: تاريخ القرون الوسطى، جامعة محمد بوضياف، 2013-2014م.
- 4/ ليزة محمد، "أثر العلماء في الحياة السياسية دولة بني حماد نموذجاً (408هـ-547هـ/1017-1252)", مذكرة مقدمة لنيل درجة الماجستير في العلوم الإسلامية، جامعة الجزائر يوسف بن خدة، 2013-2014م.

5- مخاطري أسماء ، "قلعة بني حماد الوزن السياسي والدور الحضاري في العهد الحمادي" ، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر في التاريخ وحضارة المغرب الإسلامي ، جامعة مولاي الطاهر بسعيدة ، الجزائر، 2014-2015م.

الكشافات :

1- كشاف الأعلام

أ-

- إبراهيم ابن الأغلّب 11.
- إدريس ابن عبد الله 12.
- أبي صالح الجنون 42.
- أبو عبد الله الشيعي 16.
- أبو عبيد الله المهدي 22.
- أبو القاسم 22.
- أبا حميد بن داوس بن صولات اللهيصي الكتامي 25.
- أبا الفهم الخرساني 34.
- أبا زعل 37.
- ابن خزرون 33.

ب-

- باديس ابن المنصور 35.
- بلكين بن محمد 48.
- بليار 52.

ج-

- جعفر الصادق 15.

ح-

- الحسن جوهر الصقلي 30.
- الحلواني و السفيني 15.
- حسان بن نعمان 58.

د-

- د و س ر 24.
- ر -
- راشد مولى إدريس 13.
- ز -
- زياد الله 21.
- زيري ابن مناد 31.
- ع -
- عبد الرحمن ابن رستم 6.
- عبد الوهاب بن عبد الرحمن 11.
- عقبة ابن نافع الفهري
- ف -
- فلفل ابن سعيد زناتي 36.
- ق -
- القائد بن حماد 39.
- م -
- محمد بن خزر 14.
- محسن ابن حماد 47.
- المعز ابن باديس 38.
- المعز لدين الله 30.
- المنصور 51.
- المنصور ابن الناصر 51.
- المنصور ابن يوسف بن بلكين 33.
- ن -
- الناصر بن عليناس 8.

-ي-

- اليسع بن مدرار 23.
- يقضان ابن يقضان 23.
- يعقوب ابن أفلح 42.
- يوسف بن تاشفين 52.
- يوسف بن حماد الصنهاجي 59.
- يوسف بن زيري 32.
- يوسف بن عبد الله الكاتب 34.

2- كشف الأماكن:

-أ-

- الأربس 49 .
- أيكجان 16 .

-ب-

- باغاية 21 .
- برقة 13 .
- بسكرة 28 .
- بلزمة 17 .
- بنو كملان 27 .
- بني مزاب 43 .
- بونة 52 .

-ت-

- تازورت 17 .
- تبسة 21 .
- تلمسان 13 .

- تنس 52.

-ج-

- الجزائر 52.

-د-

- دار الملول 21.

-س-

- سجلماسة 22.

- سدراتة 42.

- سردانية 35.

- سطيف 17.

- سلامية 23.

-ط-

- طينة 19.

- طنجة 13.

-ق-

- قسنطينة 21.

-م-

- مجانية 21.

- مرسى الدجاج 39.

- المسيلة 17.

- مقرة 39.

- المهدية 27.

- ميلة 18.

-و-

- واد شلف 52.

- وركلان 42.

- ويلي 13.

كشاف المواقع:

- موقعة الحريق 29.

- موقعة حيدران 47.

- موقعة سبيبة 48.

- موقعة فخ 12.

- موقعة مانو 12.

- جبل الأوراس 27.

- جبل تيفرست 58.

- جبل كيانة 29.

فهرس الموضوعات:

الإهداء :
الشكر و العرفان :

المقدمة : أ- و

مدخل تمهيدى : المفاهيم وحواضر المغرب الأوسط 15-8

أولاً: تعريف المفاهيم التالية

- تعريف الحرب (الحروب)..... 9-8

- تعريف الهجرة (الهجرات)..... 10

- تعريف العمران البشري..... 11

ثانياً: الحواضر الفاعلة أثناء التخريب المدن بين الحروب والهجرات بالمغرب

الأوسط(3-هـ/5-9م-11م)

- حاضرة تيهرت..... 12

- حاضرة أشير..... 13

- حاضرة القلعة بني حماد..... 14-13

- حاضرة بجاية..... 15-14

الفصل الأول:

الصراعات والحروب في المغرب الأوسط خلال الفترة (3-هـ/5-9م-11م) 48-17

المبحث الأول : الصدمات العسكرية في ظل الدولة الرستمية

المطلب الأول : علاقة الدولة الرستمية مع الأغالبة..... 19-17

المطلب الثاني : علاقة الدولة الرستمية مع الأدارسة..... 22-19..

المبحث الثاني : الصدمات العسكرية في ظل الدولة الفاطمية.....

- المطلب الأول : علاقة الدولة الفاطمية مع الأغالبة..... 28-22
- المطلب الثاني :علاقة الدولة الفاطمية مع سجلماسة..... 30-29
- المطلب الثالث : علاقة الدولة الفاطمية مع تيهرت..... 32-31
- المطلب الرابع : علاقة الدولة الفاطمية مع الأدارسة..... 36-32
- المبحث الثالث : الحروب والصراعات في ظل الدولة الزييرية والحمادية
- المطلب الأول : الصراع الزييري الزناتي..... 40-37
- المطلب الثاني :الصراع الزييري الكتامي..... 44-41
- المطلب الثالث : الصراع الزييري الحمادي..... 48-44
- الفصل الثاني : الهجرات ودورها في حيازة المجال والاستلاء على المدن..... 63-50
- المبحث الأول : الهجرات قبل الدخول العرب الهلالية
- المطلب الأول : هجرة الإباضية من تيهرت نحو ورجلان..... 51-50
- المطلب الثاني : هجرة الفاطميين إلى مصر..... 52-51
- المبحث الثاني : الهجرات بعد دخول العرب الهلالية
- المطلب الأول : التسرب الهلالي العربي نحو المدن المغرب الأوسط..... 60-53
- أ/نسب العرب لقبائل الهلالية..... 53
- ب/أسباب تواجدهم في المغرب الأوسط..... 55-53
- المطلب الثاني :الهجرة الثقافية..... 63-60
- أ/هجرة العلماء من القيروان إلى القلعة بني حماد..... 61-60
- ب/هجرة العلماء الأندلسيين إلى القلعة بني حماد..... 62-61
- الفصل الثالث : مدن مندثرة بالمغرب الأوسط خلال الفترة(3هـ-5هـ) (9م-11م) ... 72-65
- المبحث الأول : خراب مدن المغرب الأوسط في ظل الحروب
- المطلب الأول : مدينة سطيف 65

66- 65	المطلب الثاني : مدينة تيهرت
67	المطلب الثالث : مدينة بغاية
68	المطلب الرابع : مدينة أشير
	المبحث الثاني : تخريب المدن المغرب الأوسط في ظل الهجرات (3-5هـ)
69	المطلب الأول : مدينة طبنة
70	المطلب الثاني : مدينة المسيلة
72-70	المطلب الثالث : مدينة قلعة بني حماد
74	الخاتمة
81- 75	الملاحق
89-83	قائمة المصادر والمراجع
95- 91	الكشافات
99- 97	فهرس الموضوعات